A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

266
K451m
C.1

EGYPTIAN COLLEGE
LIBRARY
OF THEOLOGY

رسائل الأسرة المسلمة

(١)

مؤامرات ضد الأسرة المسلمة

«فليحذر الذين يخالفون عن أمره»
«أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»
«قرآن كريم»

محمد عطية خميس

LIBRARY

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الأستاذ حسين يوسف رئيس شباب محمد ﷺ

عنى شباب محمد ﷺ ، حينما وضعوا دعامات دعوتهم التي اجتمعوا حولها منذ أكثر من عشرسنوات ، بأن يجعلوا الدعامة الأولى فى بناء هذه الدعوة تقرر مبدأ جديدا ، طالما غفل عنه المصلحون ، وتهاون فى أمره الزعماء السياسيون ، ذلك المبدأ هو « تطهير الأسرة .. هو الطريق إلى تحرير الأمة »

* * *

وهكذا قرر شباب سيدنا محمد ﷺ أن الطريق إلى الحرية ليس فى تكوين الأحزاب السياسية ، وليس فى عقد الاجتماعات الضخمة ، وليس فى إلقاء الخطب الحماسية ، وليس فى إنشاء الصحف والمجلات . وليس فى إعداد الكتائب والسلاح .. فكل ذلك لا قيمة له ، ما لم يكن الأساس الذى تقوم الأمة عليه ، أساسا قويا صحيحا لم يتطرق إليه فساد ، ولم ينفذ اليه وهن أو ضعف .. وهذا الأساس الذى يجب أن نعنى به فى المقام الأول هو الأسرة .. فيجب البدء بتكوين الفرد المسلم ، فالاسرة المسلمة ، فالجماعة المسلمة ، لأن المجتمع ينقسم إلى جماعات ، والجماعات تنقسم إلى أسر ، والأسر تنقسم إلى أفراد ، فإذا سلمت الأسرة سلمت الأمة . وإذا فسدت الأسرة فسدت الأمة ، ولا وجود للأسرة المسلمة ، إلا فى ظل الآداب

والتعاليم الإسلامية ، التى لم تلوثها آداب الغرب الداعرة ، والتى فى ظلها ساد المسلمون وعلوا ، وأوجدوا المجتمع الذى يفيض بالفضيلة والأخلاق وأقاموا الدولة المتحدة التى سادت العالم ، ورفعت لواء الإسلام عاليا خفاقا . .

* * *

فدعوة شباب سيدنا محمد ﷺ إلى تطهير الأسرة من التقاليد الغربية الفاسدة ، وتحريرها من السفور والاختلاط ، وحمايتها من الزيغ والإلحاد وصيانتها من الصحف الخليعة ، والإذاعات الماجنة ، والحرص على بنائها على الآداب الإسلامية الكريمة . . ومقاومة كل محاولة ترمى إلى تقويض صرح هذه الأسرة ، أو زلزلة كيانها ، كمحاولات تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، ومحاولات إقحام المرأة فى المظاهرات وميادين القتال ، ومحاولات إعطائها الحقوق السياسية المزعومة . . كل ذلك وغيره ، إنما يقصد به شباب محمد ﷺ صيانة هذه اللبنة الأولى ، التى منها تتكون الأمم والشعوب ، وبها ترقى وتسود ، حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها كاملة فى بناء مجد الأمة ، وحتى تكون بمثابة الحصن القوى ، منه يخرج الأشبال الذين يفيضون رجولة ونخوة ، ولا يرضون ذلا أو مهانة ، وفيه تنشأ الفتيات الطاهرات ، اللاتى يعرفن حق الله ورسوله ، ويتفانين فى إرضاء الزوج وطاعته ، وتربية الصغار ورعايتهم .

* * *

وفى هذه الصفحات القليلة فى عددها ، الخطيرة فى هدفها وفائدتها ، يقدم أخى فى الله . . الأستاذ محمد عطيه خميس ، المحامى وعضو مجلس شورى شباب سيدنا محمد ﷺ رسالته القيمة ، التى تلقى ضوءا ساطعا على الدسائس

المتصلة ، التى ما فتىء أعداء الإسلام ، وصنائع الاستعمار ، يعملون على تدبيرها وتنفيـــذها ، ليصلوا من وراء ذلك إلى القضاء على كل مقاومة فى الأمة .. بالقضاء على الأسرة ، وزلزلة كيانها ، وتقويض أركانها .

ويضاعف من خطورة هذه الرسالة - وهى الأولى فى سلسلة يعتزم شباب محمد ﷺ العمل على إصدارها متتابعة بإذن الله - أنها لا تقوم على تقديرات ظنية ، أو استنتاجات تقديرية ، وإنما تقوم على الحقائق الدامغة المؤيدة بالدليل القاطع ، والحجة الساطعة ، والأسانيد الصحيحة .

إن هذه الرسالة ، هى صحيفة اتهام لأعداء الوطن .. وأنصار الاستعمار والتبشير ، وهى نصيحة خالصة للآباء والأمهات ، وهى هداية ونور للجيل الجديد .. عساه ينجو من الهاوية المعدة له ، ويخرج من الظلمات المحيطة به ، ويسلك الطريق القويم إلى حياة فاضلة ، وكرامة موفورة ؟

حسين يوسف

رئيس شباب سيدنا محمد ﷺ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه

حينما امتدت الدولة الإسلامية من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، وحينما وطئت جيوش المسلمين أوربا ، فزع الأوربيون فزعا شديدا ، وهبوا مذعورين، وقالوا : «عجبا .. ما هذا الدين الإسلامى الذى يجتاح العالم فى قوة وسرعة عجيبتين ؟ لقد غزا الروم ، ودخل إيطاليا وفتح أسبانيا ، ثم ها هو يحاول أن يعبر جبال البرانس ليحكم فرنسا .. »

وفكر القوم وتدبروا ، فرأوا أنهم إذا تركوا المسلمين وشأنهم، فلابد وأن زمام العالم كله سيصير إلى أيديهم .

ودفع العداء العميق أولئك الغافلين ،إلى أن يفكروا فى إكراه المسلمين على ترك الإسلام ، فحشدوا جيوشهم وقواهم ، وخرجوا بشيوخهم قبل شبانهم ، وملوكهم قبل رعاعهم ، وجاءوا إلى بلادنا وكأنهم يقولون: «لقد جئناكم بالحديد والنار ، لنقضى عليكم وعلى دينكم ، وهيهات أن تقوم لكم بعد اليوم قائمة »

وقبض القوم ثمن غرورهم وحمقهم ، هزيمة وذلا ،وعارا واستكانة .. ولكنهم عادوا يفكرون من جديد.. كيف ينفذون إلى غايتهم ! ؟ القوة والحديد والنار، لاتزيد المسلمين إلا قوة وإيمانا ونصرا، إنهم كالذهب لا تزيده النار إلا صفاء وصقلا ولمعانا .

وأخيرا وصلوا إلى الحل الذى يتشبدونه .. وكأنهم قالوا لأنفسهم : « لقد حاولنا أن نقضى على المسلمين ،لنصل إلى القضاء على الإسلام ، فلماذا لا نهوى بمطارقنا على الإسلام ذاته ؟ فنقضى بهذا على المسلمين ؟

ولكن كيف نقضى على الإسلام ؟»

وفكر القوم مرة أخرى ، فهداهم تفكيرهم الشيطانى الخبيث ، إلى أن يلعبوا معنا دور «النشال» البارع ، الذى يقف بجوارك فى الترام أو السيارة كأى راكب عادى آخر ، ويسلبك مالك بخفة لا تشعر بها .. أليس هذا النشال أبرع من اللص الذى يقتحم عليك البيت ، وفى يده سلاح فتنتبه إلى خطره ، فتقفز إليه ، ثم تنشب معركة ، قد تنتهى بقتله أو فشله فى إتمام جريمته ؟ أليس مثل هذا النشال يريح نفسه من مخاطر مغامرة اللص المسلح ! ؟

لقد لعب أعداء الإسلام دور اللص المسلح فى الحروب الصليبية .. فرأوا أن يلعبوا دور النشال .. يتحدثون معنا كأصدقاء باسم العلم والثقافة فى شئون عامة ، ولا يتعرضون للإسلام من قريب أو بعيد ، وفى أثناء هذا النقاش «العلمى» يحاولون أن يقنعونا بنظم ونظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الإسلام ، وبهذه المحاولة الخبيثة ، يغزون العقيدة نفسها ، أى يسلبوننا الإيمان بالإسلام كدين وكنظام.

ولقد نجح القوم فى هذه المحاولة ، وما هذه الرسالة الصغيرة إلا عرض لهذه المحاولة ، فعرضت أولا لمؤتمرات المبشرين ، التى قرروا فيها غزو البلاد الإسلامية بالمدنية الغربية ، بدلا من غزوها بقوة السلاح ، ثم أوضحت مدى خطورة الأخذ بالمدنية الغربية على عقيدة وإيمان المسلم ، بل مدى خطورتها على فقه الكتاب والسنة أيضا ، ثم ذكرت كيف أن الاستعمار عمل للقضاء على النظم الإسلامية كغاية وكوسيلة .. كغاية يسعى لها المستعمر ، وكوسيلة لتوطيد قدم الاستعمار .

ثم بينت كيف أن الأسرة المسلمة ، هى وحدة المجتمع المسلم ، وأن تنظيم الإسلام للأسرة مظهر رائع من مظاهر ديننا الحنيف الذى يوضح عظمة

الإسلام فى الأمة المسلمة .. فرأى أعداء الإسلام أنهم إذا قضوا على مميزات الأسرة المسلمة ، قضوا على مميزات كثيرة للمجتمع المسلم، وأنه إذا هان على المسلمين التفريط فى آداب الإسلام فى الأسرة ، هان عليهم التفريط فى الآداب الأخرى، وبهذه الطريقة تنزع العقيدة الإسلامية ذاتها من قلوب المسلمين .

وفى الفصل الأخير، تكلمت عن صنائع أعداء الإسلام ، الذين نفذوا مؤامراتهم الخطيرة ضد الأسرة المسلمة ، وهؤلاء الصنائع هم طائفة ممن يسمونهم بالعظماء، الذين يكبرهم الناس ويجلونهم ، ويقحمهم المتطفلون على التاريخ فى سجل القادة والزعماء والمخلصين . وهذا الفصل يغضب البعض، كما أنه يرضى البعض الآخر .. ولكن ، هل يستطيع الغاضبون أن يكابروا فى صحة وصدق الحقائق التى أوردتها ؟ بالطبع .. لا !!

وإذن ، فكيف تهيأ أمة جهلت ماضيها لخير مستقبلها ، كيف تستطيع الأمة أن تسترشد بالرأى السليم إذا لم تعرف العلماء من الجهلاء ، والمخلصين من الخائنين ، والوطنيين من المنافقين ؟ وهل ما ارتكبه من ذكرتهم فى هذا الكتاب هناة تغتفر أم جرائم خطيرة ؟ هل السير فى ركاب الغاصب ومحاربة الوطنية الخالصة ، تعتبر هنة صغيرة يمكن اغتفارها ؟

لا .. نحن أمة تسعى إلى استقلالها .. وكابدنا ما كابدناه فى سبيل الحرية ، ولم نصل إليها بعد .. لا بسبب قوة وبطش المستعمر فحسب ، ولكن أيضا، بسبب تغرير وخداع وتآمر ضعفاء النفوس والخونة والمأجورين والمجرمين . فالواجب ألا تأخذنا شفقة بهم لأنهم لم تأخذهم شفقة بالأمة كلها، وكل تسامح فى فضح هؤلاء القوم ، تعود مغبته علينا، لأن هذا معناه أن نترك مواكب المخدوعين تقتفى آثار المضللين .. وهذا ما نعتقده خيانة عظمى

وإننى أرجو من الله عز وجل، أن يتقبل ما بذلته من جهد فى سبيل إخراج هذه الرسالة التى لا أقصد بها إلا وجهه .

وأرجو أن لا يختم القارىء هذه الرسالة، إلا وقد عاهد نفسه على أن يفر من المدنية الغربية فرار السليم من الأجرب ، وأن يقبل على الإسلام وآدابه، وهو فخور معتز بفضل الله ونعمته عليه .. بل ويجعل رسالته فى كل وسط يحل به هى التحذير من أخطار المدنية الغربية ، والدعوة إلى الإسلام وآداب الإسلام « ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحا ، وقال إننى من المسلمين » .؟

محمد عطيه خميس

المحامى

دار الأرقم : ربيع الآخر عام ١٣٧١

مؤامرات المبشرين

« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا »
« عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم »
« حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى »
« جهنم يحشرون »

قرآن كريم

فشل الحديد والنار :

لما ارتدت فلول الصليبيين منهزمة أمام جيوش المسلمين ، وتجرع الفرنجة كئوس الهزائم المرة المتلاحقة فى الحروب الصليبية ، أخذ أعداء الإسلام يفكرون فى الوسيلة التى يقضون بها على هذه الأمة الإسلامية التى انتشرت بسرعة لم يعهدوها من قبل ، فامتدت من الصين شرقا إلى المحيط الاطلنطى غربا .

أخذ القوم يفكرون ويتدبرون ، ما سر عظمة المسلمين ؟ وما سبب قوتهم ؟ وما هو المنفذ الذى يستطيعون أن ينفذوا منه إلى غايتهم ؟

إن قوة الحديد والنار لا تجدى مع المؤمنين ، لأنهم لا يقاتلون بعدة ولا عدد ، وتاريخ الدعوة الإسلامية ناطق بأن ضعف عدتهم وقلة عددهم لم يكونا حائلا بينهم وبين الانتصار على أقوياء العدة « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

هنا فكر أعداء الإسلام فى القضاء على إيمان المسلمين ، والعمل على زعزعة العقيدة الإسلامية نفسها بطريق الغزو الثقافى ، فإذا فقدت الأمة الإسلامية مقوماتها التى ورثتها عن السلف الصالح ، فقدت شخصيتها الإسلامية الممتازة واندمجت فى شخصية أخرى لا تعبأ بالمعانى الروحية السامية ، وتهدف إلى القضاء على الإسلام .

بل لقد رأى أعداء الإسلام أن استعمال الحديد والنار ضد المسلمين ، يعتبر خيانة لرسالة التبشير والاستعمار ، وصرح هؤلاء الأعداء بهذه المعانى فى المؤتمر التبشيرى الذى عقدوه فى ٢١ يناير سنة ١٩١١ فى مدينة لكنو بالهند ، من المبشرين البروتستانت ، وكان عددهم ١٦٨ مندوبا ففى هذا المؤتمر قدم القسيس « استورد كروفورد » تقريرا عن الموقف

الجديد الذى يجب أن تكون فيه إرساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الإسلام الجديدة بعد الانقلابات العثمانية ، فذكر أن على المبشرين واجبين ، أما الواجب الأول فهو إظهار المجاملة للقوة الجديدة التى انتبهت بالعثمانيين بعد انعدامها، بالرغم من أن الشعور الإسلامى الحقيقى يعرقل سيرها ، وبهذه المجاملة يمكن تنشيط المسلمين ، لاقتباس الأوضاع الجديدة وترقيتها، على وجه يشبه الأوضاع التى تباهى النصرانية بقدرها ، وهذه فرصة ثمينة ينبغى لنا انتهازها للاحتكاك بالعالم الإسلامى وهدايته إلى الانجيل الذى هو أرقى وحى أهداه الشرق للغرب ، وما علينا إلا أن نستصرخ المسلمين ، ليستردوا إليهم بضاعتهم الطبيعية ، فيطبقوا مبادئها على أعمالهم الضرورية، من اجتماعية وقومية، ويفسروها بأنفسهم على ما يوافق هواهم ، ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن فى عقائدهم ، وإذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة فى إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحروب الصليبية ، فإنما نكون قد خنا المسيح الفاتح .

« وأما الواجب الثانى، فهو الصبر الذى يعرفه من عرف حكمة الإنجيل فى النمو التدريجى ، وهى تبتدى. بالعشب، ثم بالسنبلة، ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب ، إلا أن النمو الأخلاقى طويل العهد ، خصوصا إذا كان متعلقا بأمة .. وأن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون، شطرا من المدنية النصرانية ، ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل، فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها » (١)

---

(١) كتاب الغارة على العالم الإسلامى ١١٠

الغزو الثقافى الصليبى :

نعم .. كان أكبرهم الصليبيين ، هوغزو العقلية الإسلامية ، وجعلها تفكر ـ لا بمنطق الكتاب والسنة ـ ولكن بمنطق أهواء أعداء الإسلام ولقد كشف هؤلاء الأعداء عن نياتهم هذه فى مؤتمرات التبشير التى عقدوها ، وتدارسوا فيها مؤامراتهم .

فقد ذكر الخواجه «شاتليه» فى مقدمة عدد الغارة على العالم الإسلامى الذى أصدرته مجلة العالم الإسلامى سنة ١٩١٠ «ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية (١) ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل ، والتثبت من فائدته ، وأنا أرجو أن تخرج هذه الثقافة إلى حيز الفعل لتثبت فى دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية ! »

ولقد ردد نفس هذه المعانى القسيس صموئيل زويمر منشىء مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية ، وبين مدى أهمية نشر المدنية الغربية فى البلاد الإسلامية ، ثم بين أن نشر هذه المدنية كفيل بزعزعة العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين ، ويعتبرا نتشارها كسبا للمبشرين دون أهمية معرفة إحصائيات التنصير ، لقد قال هذا القسيس فى رسالة أرسلها لمجلة العالم الإسلامى من جزيرة البحرين «قرب عمان» فى ٢ أغسطس سنة ١٩١١ «إن لنتيجة إرساليات التبشير فى البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ومزية هدم ، أو بالحرى مزيتى تحليل وتركيب ، والأمر الذى لا مرية فيه ، هوأن حظ المبشرين من التغيير ـ الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى »

(١) التأثير على عقول أبناء الشرق وقلوبهم .

أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصائيات (التعميد) فى معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين ، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور . ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية من طرف خفى » (١) .

لجأ المبشرون إلى نشر الثقافة الأوربية والمدنية الغربية فى البلاد الإسلامية، حتى يتخلصوا من محاربة المسلمين لهم ، ويتخطوا العقبات التى تقف فى طريقهم .

وقد عقد أعداء الإسلام من المبشرين فى سبيل تحقيق هذه الغاية المؤتمرات تلو المؤتمرات ، لتنفيذ خططهم العدائية :

ففى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦ افتتح المبشرون مؤتمرهم الأول فى القاهرة فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء ، وقد انتخب القسيس « زويمر » زعيم حركة التبشير رئيسا لهذا المؤتمر ، وفى هذا المؤتمر اخذ أعداء الإسلام يدرسون موضوعات مختلفة أهمها النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ، وشئون نسائية إسلامية ، وكيفية التعليم فى الإسلام ، وقد جمع القسيس « فلمينغ » الأمريكى موضوعات هذا المؤتمر فى كتاب أسماه « وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية » وكتب عليه هذه الكلمة « نشرة خاصة » بمعنى أنه طبع ليتنقل فى أيدى فئة خاصة من رجال التبشير ، لا يطلع عليه كل الناس ، وفى الفصل الرابع من هذا الكتاب ، ذكر الصعوبات التى تقف فى سبيل تبشير المسلمين المتنورين ، وهذه الصعوبات هى التى جعلت المؤتمر

---

(١) عن كتاب « الغارة على العالم الإسلامى » صفحة (١١)

يترك المذاكرة فى بادىء الأمر فى مسألة التنصير، ليعنى بالبحث عن الوسائل التى يكون لها تأثير - ولو قليلا - على الناشئة الإسلامية، لتدرك الأمور الاجتماعية والخلقية والأدبية .

« وهنا قال سكرتير المؤتمر : إن الخطة العدائية التى انتهجها الشبان المسلمون المتعلمون ، اضطرت المبشرين فى القطر المصرى إلى محاولة إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية، لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم .

مسلمون محوطون بالأسلاك الأوربية :

ولما كانت المدنية الغربية وليدة الثقافة الأوربية ، والثقافة الأوربية متأثرة بعقيدة النصرانية ، اهتم أعداء الإسلام بنشر المدنية الغربية على أساس أنها مظهر من مظاهر الثقافة الأوربية ، حتى يكون الإسلام فى حكم مدنية محوطة بالأسلاك الأوربية كما قال «شاتليه» فى مقدمة بحثه « فتح العالم الإسلامى » أو الغارة على العالم الاسلامى إذ قال :

« والتقسيم السياسى الذى طرأ على الإسلام ، سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية ، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسوف لا يمضى غير وقت قصير حتى يكون الإسلام فى حكم مدنية محوطة بالأسلاك الأوربية » .

وقد بين هذا العدو نفسه فى هذه المقدمة ، مدى خطورة انتشار المدنية الغربية على المسلمين ، وكيف أنها ستؤثر على الروح الدينيه من أساسها فقال « ولا ينبغى لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامى ، أن يتخذ له

أوضاعا وخصائص أخرى، إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية إذ الضعف التدريجى فى الاعتقاد بالفكرة الإسلامية ، وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له ، سوف يفضى - بعد انتشاره فى كل الجهات - إلى انحلال الروح الدينية من أساسها ، لا إلى نشأتها بشكل آخر » (١)

وهكذا كان اهتمام المبشرين دائما فى جميع مؤامراتهم التى عقدوها ، الحض على نشر المدنية الغربية ، وتغيير النظم الاجتماعية للمسلمين، وتشجيع دعاة التجديد ، الذين ينادون باقتباس النظم التقدمية فى الحياة الأوربية .

كانوا يهتمون بغزو العقلية الإسلامية بثقافتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والخلقية، ورأوا أنهم بالتجائهم إلى هذه الطريقة ، لن يفطن المسلمون إلى مؤامراتهم ،لأن سموم حربهم على الإسلام، تتسلل تحت ستار الثقافة والعلم والعقل ، بل لقد رأوا أن تركهم لهذه الطريقة ، والالتجاء إلى طريق الحديد والنار يعتبر خيانة للمسيح .

ولقد ذكر مسيو «أتين لامى» فى مقال نشرته مجلة العالمين الفرنسية، بعدد ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ أنه يمكن استغلال المدارس المسيحية فى إلقاء بذور الشك فى نفوس النشء المسلم ، وإفساد عقيدتهم ، فقال الكاتب المذكور: «إن مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشارا ،فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه، هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية . وإلقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة، تفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون وإن لم يتنصر منهم أحد، فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها » .

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٣ .

المدنية الغربية وأثرها في العقيدة

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم »
« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »
« فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض »
« ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم »
« الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم »
« يوقنون » قرآن كريم

الإسلام على مفترق الطرق :

بينت فى الفصل السابق ،كيف كان انتشار المدنية الغربية فى البلاد الإسلامية ، وتغيير النظم الاجتماعية والسياسية والخلقية المسلمين ، مظهرا من مظاهر نشاط المبشرين ، بل كان أهم مظهر من مظاهر نشاطهم .

ولقد ذكرت أيضا ما قاله المبشرون ،من أن التجاءهم إلى هذه الوسيلة سيقضى من طرف خفى على نظم المسلمين، ثم يقضى على الروح الدينية ذاتها من أساسها ، ومن ثم سينشأ فى قلوب المسلمين حب النصرانية ، ولو لم يعتنقوا المسيحية .

ولا شك أن الذين سيقرأون هذا الكتاب ، ولا يزال يحيى فى قلوبهم حب الإسلام- أى حب الله والرسول ﷺ - ستنشأ فى قلوبهم كراهية وبغض المدنية الغربية ، فيجابهون مؤامرات أعداء الإسلام ونظمهم الاجتماعية ومدنيتهم الغربية ، وأخلاقهم الأوربية بالفرار منها ، وبالتمسك بثقافة الإسلام وآدابه العالية وتعاليمه الواقية السامية .

أما هؤلاء الذين نما فى قلوبهم حب المدنية الغربية - ولا يزالون يظنون أن المدنية الغربية لم ولن تزعزع من روحهم الدينية - فيكفى أن يطالعوا ما نقله عن العالم المسلم النمساوى الأستاذ « ليوبولد فايس » الذى اعتنق الإسلام أخيرا، وتسمى باسم محمد أسعد ، فألف كتابه القيم «الإسلام على مفترق الطرق » حذر فيه المسلمين بشدة من التسمم بالثقافة الأوربية والمدنية الغربية ، والنظم الاجتماعية لأعداء الإسلام .. لقد كشف هذا العالم عن القوى المحركة فى المدنيتين - الإسلامية والغربية الحديثة - ثم بحث

عن الحد الذى يجب أن يذهب إليه التعاون بينهما . وحينما كتب الأستاذ محمد أسعد كتابه هذا ، كتب عن الحياة التى عاشها فى أوربا ، وكتب بعقلية الأستاذ الجامعى ، الذى لا ينظر إلى المسائل العامة نظرة سطحية ، إنما بعقلية من يتعمق فى بحثه ، ليخرج بالخفايا والحقائق التى لا جدال فيها.

مدنية الكفر والإلحاد :

يقول الأستاذ ليوبولد فايس ، ما ملخصه : إن المدنية الغربية مدنية إلحاد ، لأنها نبتت فى تربة ملحدة ، حقيقة أن أوربا تسودها المسيحية ، ولكن المسيحية لا تنظم إلا علاقة العبد مع ربه فقط ، أما علاقات الأفراد فيما بينهم ، فلم ينظمها الدين المسيحى .

إذن ، فمن أين جاءت المدنية الغربية ؟

لقد فكر الأوربيون فى تنظيم علاقاتهم فيما بينهم ، فأخذوا يبحثون عن النظم التى يستطيعون تطبيقها ، حتى اهتدوا إلى النظم الرومانية ، ولما كان الرومانيون فى الحقيقة لم يعرفوا الدين ، ولم تكن آلهتهم التقليدية سوى محاكاة شاحبة للخرافات اليونانية ، لهذا قامت مدنيتهم وحضارتهم على أساس إدراك مادى بحت ، بعيد كل البعد عن القيم الروحية ، فالعدل الرومانى ، كان عدلا للرومانيين وحدهم ، وكانت الفكرة التى تقوم عليها الإمبراطورية الرومانية : الاجتياح بالقوة ، واستغلال الأقوام الآخرين لفائدة الوطن الأم وحده ، وفى سبيل الترفيه عن فئة ممتازة لم ير الرومانيون فى عنفهم سوءا ، ولا فى ظلمهم انحطاطا .

ثم يقول (١) : « وكما أن الجو الفكرى والاجتماعى فى روما القديمة ، كان

(١) الإسلام على مفترق الطرق صفحة (٣٧)

نفعيا بحتا ولا دينيا ـ لاعلى الافتراض، بل على الحقيقة ـ فكذلك هو الجو في الغرب الحديث ، ومن غير أن يكون لدى الأوربي برهان على بطلان الدين المطلق ، ومن غير أن يسلم بالحاجة إلى مثل هـذا البرهان ، ترى التفكير الأوربي الحديث ـ بينما هو يتسامح في الدين ، وأحيانا يؤكد أنه عرف اجتماعي ـ يترك على العموم ، الأخلاق المطلقة خارج نطاق الاعتبارات العملية . إن المدنية الغربية ، لا تجحد الله البتة ، ولكنها لا ترى مجالا ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي ، لقد اصطنعت فضيلة من العجز الفكري في الإنسان ، أي من عجزه عن الإحاطة بمجموع الحياة . وهكذا يميل الأوربي الحديث إلى أن ينسب الأهمية العملية فقط، إلى تلك الأفكار التي تقع في نطاق العلوم التجريبية ، أو تلك التي ينتظر منها على الأقل أن تؤثر في صلات الإنسان الاجتماعية بطريقة ملموسة ، وبما أن قضية وجود الله لا تقع تحت هذا الوجه ، ولا تحت ذاك ، فإن العقل الأوربي يميل بداءة إلى إسقاط (الله) من دائرة الاعتبارات العملية .

وهنا يعرض سؤال : كيف يمكن لهذا الاتجاه أن يتفق وطريقة التفكير المسيحي ؟ أليست النصرانية ـ المفروض فيها أن تكون الهيكل الروحي للمدنية الغربية ـ عقيدة مبنية على الأخلاق المطلقة كما هي الحال في الإسلام؟ لاشك في أنها كذلك ، ولكن حينئذ لا يمكن أن يكون ثمة خطأ أفدح من أن نعتبر أن المدنية الغربية الحديثة نتاج النصرانية . إن الأسس الفكرية الحقيقية في الغرب يجب أن تطلب في فهم الرومانيين القدماء للحياة على أنها قضية منفعة خالية من كل استشراف مطلق.»

مدنية الحروب الصليبية :

لقد عرفت — أيها القارىء الكريم ـ كيف أن المدنية الغربية قد

نشأت فى تربة كفر وإلحاد ، لا تتقيد بدين ولا خلق .. ولهذا يجب أن نعرض عنها إعراضا تاما .

ولكن ، هناك سبب آخر يحملنا على الإعراض عنها ، وهو أن هذه المدنية وليدة تجارب تاريخية ، اصطبغت اصطباغا شديدا بعداوة غريبة للإسلام ، حتى يمكن القول بأن المدنية الغربية معجونة ببغض وكراهية الإسلام . .

إن الأوربيين قد يتقبلون سماع ودراسة أية فلسفة شرقية ، كالهند وكية والبوذية ، ولكنهم لا يطيقون سماع كلمة الإسلام ، ويرجع ذلك إلى شبح الحروب الصليبية ، يوم تجمعوا واتحدوا ، وأقبل فرسانهم الأتقياء إلى بلاد المسلمين يرتكبون الفظائع المروعة .. ولكن ما لبث أن ارتدوا على أعقابهم بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة ، فولدت هذه الهزيمة فى نفوسهم عداوة عميقـــة .

« والاصطدام العنيف الأول بين أوربا من جانب وبين الأسلام من الجانب الآخر - أى الحروب الصليبية - يتفق مع بزوغ فجر المدنية الغربية .. إن الحروب الصليبية هى التى عينت فى المقام الأول والمقام الأهم ، موقف أوربا من الإسلام ، لبضعة قرون ، ولقد كانت الحروب الصليبية فى ذلك حاسمة ، لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوربا ، فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها ، وكانت لا تزال فى طور تشكلها . والشعوب كالأفراد ، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التى تحدث فى أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهرا أو باطنا مدى الحياة التاليه ، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرا عميقا ، حتى أنه لا يمكن للتجارب العقلية فى الدور المتأخر من الحياة ، والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة ، أن تمحوها إلا بصعوبة ، ثم بندر أن تزول آثارها تماما .. وهكذا كان شأن الحروب الصليبية ، فإنها أحدثت أثرا من أعمق الآثار وأبقاها فى نفسية الشعب

الأوربى .: ويمكننا أن نقول من غير أن نوغل فى المبالغة إن أوربا ولدت من روح الحروب الصليبية ، لقد كان هناك قبل ذلك الزمن : انجلو سكون وجرمان وفرنسيون ونورمان وإيطاليون ودنماركيون ، ولكن فى أثناء الحروب الصليبية ولدت فكرة «المدنية الغربية» وأصبحت هدفا واحدا تسعى إليه جميع الشعوب الأوربية على السواء ، وكانت المدنية الغربية عداوة للإسلام وقفت عرابا (١) فى هذه الولادة الجديدة» (٢).

المدنية الغربية وأثرها فى التربية :

لقد كان المبشرون بعيدى النظر ، حينما دعوا إلى غزو البلاد الإسلامية بمدنيتهم الزائفة ، بأن الأخذ بمدنية الغرب ، وتقليده فى عاداته وخلقه وزيه يضطر المسلمين إلى التدرج فى الأخذ بوجهة نظره . إن تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئا فشيئا إلى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك .

وما دام المسلمون مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على أنها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة ، فإنهم يفقدون ثقتهم بأنفسهم ويدعمون بطريقة غير مباشرة ، ذلك الزعم الغربى القائل بأن الإسلام «جهد ضائع» (٣)

فإذا كانت البيئة العامة التى يتطور فيها الطفل ، بيئة غربية فى نظمها الاجتماعية والسياسية والخلقية ، أثارت هذه البيئة فى نفوس الناشئين روح التمرد على الدين ، اعتقادا منهم أن دينهم ناقص وعاجز عن تنسيق الحياة لهذا حذرنا رسول الله ﷺ من تقليد غير المسلمين ، فقال ﷺ «من تشبه بقوم فهو منهم» .

---

(١) هو تعبير كنسى يقصد به وكيل الطفل المعمد .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق صفحة «٤٩» .

(٣) « « « « « « «٦١»

لقد هدف الإسلام من تحريمه التشبه بالأجانب ، إلى أن يجعل من أتباعه أمة ممتازة ، لها كيانها ولها آدابها وتقاليدها ، ولها مظاهرها المخالفة لغيرها ، حتى يشعر المسلمون بالوحدة فيما بينهم ، وبالفارق المميز لهم عن غيرهم ، وبذلك ترتبط قلوبهم ، وتتحد آمالهم وتعتز دولتهم .

« ولقد كان سيد المرسلين أحرص ما يكون على تميز أمته ومخالفة الأمم الأخرى فى شتى النواحى ، حتى يحتفظ المسلمون بكيانهم سليما وبوحدتهم قوية . .

كان المسلمون يتجهون فى صلاتهم إلى بيت المقدس ، ويشاركون فى ذلك اليهود والنصارى ، وكان سيد المرسلين يود من أعماقه ، لو كانت للأمة قبلة أخرى ، ويرفع بصره إلى السماء متلهفا على وحى من رب العالمين ، يحقق له أمنيته ويحدد له وجهته ، حتى نزل قوله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء . . فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

وهكذا اتجه سيد المرسلين ومن آمن بدعوته ، إلى الكعبة المشرفة ، وأصبحت بذلك هى القبلة الوحيدة لأهل التوحيد والإيمان ، لا يشاركهم فيها أحد . . حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ورأى نبى الله اليهود يتخذون الأبواق للدعوة إلى الصلاة ، والنصارى يتخذون النواقيس والأجراس ، فلم يرض بواحدة منهما ، حرصا على عدم التشبه بهم ، حتى أمر الله بالآذان ، فأصبح شعار المسلمين ويا له من شعار عظيم يذكر المسلمين بعظمة ربهم وهداية نبيهم ، ويحفزهم إلى أسباب النجاح

وأسباب الفلاح .

ورأى نبي الله ، أن اليهود قد اتخذوا السبت عيدا ، وأن النصارى قد اتخذوا الأحد ، فاختار سيد المرسلين لأمته خير الأيام وهو يوم الجمعة ، مخالفا هؤلاء وهؤلاء .. ليس ذلك فحسب ، بل أمرهم بالعمل في هذا اليوم بعد الصلاة على عكس أهل الكتاب الذين يعطلون أعمالهم ، ويغلقون محالهم ، قال تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

ورأى نبي الله المجوس يحلقون لحاهم حتى لا يبقى منها أثر ، ويطلقون شواربهم حتى تطول بصورة شنيعة .. فاختار لأمته أوسط الأوضاع ، وأجمل الأشكال ، فقال لهم : « قصوا الشوارب واعفوا اللحى وخالفوا سنة اليهود » وحدد لها قبضة واحدة على الأكثر .

ورأى رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص لابسا ثوبين معصفرين « أي مصبوغين بطريقة خاصة بالكفار » فقال له : « إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها » وفي ذلك دليل قاطع على وجوب احتفاظ أهل الإسلام بمقوماتهم ، ومخالفتهم للأجانب عنهم .

ورأى رسول الله ﷺ اليهود يصومون يوم عاشوراء ، وقد سن صيامه للمسلمين ، ولكنه دعاهم إلى مخالفتهم فقال لهم : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود ، صوموا يوما قبله ويوما بعده » .

ورأى رسول الله ﷺ أن المسلمات يتعرضن للأذى عند خروجهن ويسمعن من فساق قريش ما تحمر له الوجوه خجلا ، فأمر المسلمات بوحي من ربه بالحجاب ، حتى يكون فارقا بينهن وبين البغايا والإماء ، وصيانة لهن من الأذى .. وبذلك أصبح الحجاب تقليدا خاصا بأمة محمد ﷺ ، يرمز إلى العفة والشرف والطهر .

واعتاد اليهود فى السلام أن يشيروا بأصابعهم ، واعتاد النصارى أن يشيروا بكفهم، فنهى سيد المرسلين عن تقليد هؤلاء أو هؤلاء ، وقال « ليس منا من تشبه بغيرنا ، لاتتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالكف » وهكذا أمرهم بالسلام بصيغته المعروفة ، ودعاهم إلى المصافحه عند اللقاء ، وقال : « تهادوا تحابوا، وتصافحوا يذهب الغل عنكم »

وهكذا أوجد الإسلام أمة جديدة ،هى أفضل الأمم طرا،لها عاداتها وتقاليدها ، لها قبلتها الخاصة، وأعيادها الخاصة ، ومظاهرها الخاصة ، وملابسها الخاصة، وتحيتها الخاصة، وبوجه عام لها كيانها الذى يخالف كيان غيرها، سواء فيما يتعلق بالجوهر ، أو فيما يتصل بالمظهر .

تلك هى الأمة المحمدية كما أمر بها رب العالمين،وكما أدبها وأرشدها سيد المرسلين ، وكما كانت فى عهود الخلفاء الراشدين ، وعصور العزة والسيادة والسلطان » (١) .

فيجب على المسلم أن يعيش عالى الرأس ،موفور الكرامة ..ولهذا يجب أن يكون متميزا عن سائر الناس ، وأن يكون فخورا بهذا التميز ، وأن يجهر فى شجاعة بالفوارق المميزة له عن سائر البشر ، بدلا من أن يسعى فى جبن وضعف إلى مدنيات أخرى يسرقها ، ويعتذر - لأسباب سخيفة - بأن دينه لا يتعارض معها !!

والإسلام قد نظم جميع العلاقات ، وجاء إلينا بنظم كاملة ، حتى لا يترك لنا عذرا إذا التجأنا إلى نظم أعداء الإسلام ..

ولقد ظل المسلمون محافظين على مميزاتهم ، فخورين بآدابهم ، متمسكين

---

(١) النذير العدد (١٨٠) من مقال للأستاذ حسين يوسف

بتعاليم دينهم .. وظلوا لهذا السبب سادة حاكمين منتصرين ، إلى أن جاء الغربيون فغزوا المسلمين بمدنيتهم الزائفة ، ففقدوا كل أسباب القوة والعزة والنصر . .

الفقهاء المزيفون :

وكان من أخطار المدنية الغربية فى حياة المسلمين ، إعراض الناس عن السنة . .

إن حياة التفرنج التى يحياها المسلمون اليوم ، حالت بينهم وبين الأخذ بأسباب السنة السمحاء ، لأنها لا تتفق مع أهوائهم .. حتى العلماء الذين يعرفون السنة حق المعرفة ، أثرت فيهم البيئة التى يعيشون فيها ، فأخرجوا لنا فقها لا تربطه رابطة بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ .

لقد ظل الفقه الإسلامى محافظا على أصوله ومبادئه المتوارثة ، حتى إذا غزت المدنية الغربية بلاد المسلمين ، ودخلت الأخلاق الأوربية بيوت العلماء أنفسهم .. وجدت الفقه الإسلامى قد تغير وتبدل ، ووجدت العلماء الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، ليبرروا أهواءهم وخروجهم على السنة .

أما الذين جرفتهم الحياة الدنيا ، ولا يعرفون أحكام الكتاب وتعاليم السنة ، تجدهم يعرضون عن الدين ، لأنهم يعجزون عن إخضاع حياتهم وتفكيرهم لما قال الله والرسول ﷺ .

أما عن القرآن ، فلم تؤثر فيه المدنية الغربية ، لأنه مكتوب ومنقول إلينا بالتواتر ، أما السنة وهى المذكرة التفسيرية للقرآن ، فقد أراد المرضى بالمدنية الغربية أن يتلاعبوا بها .

فهذا عالم يرفض الأخذ بالأحاديث الصحيحة ، ويعرض عنها جملة واحدة أو أقساما ، بدون سبب علمى معقول ، ويأتى إليك بالآراء الضعيفة ، يتشبث

بها، ويعلنها للناس على أنها الرأى السليم، وإذا بحثت عن السبب وجدت العلة فى بيئته ! !

سأضرب مثلا يتعلق بموضوع هذا الكتاب .. نزل الحجاب فى كتاب الله، وفرض على نساء المؤمنين ، وطبقه الرسول والصحابة على زوجاتهم، وظل الحجاب مطبقا أمدا بعيدا ..

ولكن شاءت إرادة الله أن يفتح الأزهر أبوابه للكثيرين ، فولجه بعض علماء جاءوا من الريف ، حيث تختلط أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم بالأجانب فى الخلاء ، وولجه علماء تجلس أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم على أبواب بيوتهن فى الحوارى والأزقة فى أوضاع مزرية ، يمر بهن الغادون والرائحون .. ويعجز هؤلاء العلماء عن فرض الحجاب على أهليهم ، فيكون ثمرة هذا العجز، جهلا وافتراء وحمقا يذيعونه على الناس ، فيقولون إن الإسلام يبيح السفور واختلاط الجنسين !! ؟

فإذا وجدت إعراضا عن آداب الدين، وتأويلات لآيات الله، وخروجا على السنة ، فاعلم أن السبب يرجع إلى البيئة .

وإذا وجدت عالما أفتاك بما يخالف ما جاء فى السنة ، وما جاء عن السلف الصالح ، فاعلم أن بيئته هى التى دفعته إلى هذا ، واعلم أنه فقيه مزيف وفقهه مزيف .

إن مثل هؤلاء العلماء يذكرونى بقصة القرد الذى قطع ذيله ، فرأى أن الوسيلة الوحيدة لعدم استهزاء سائر القردة به ، هى أن يذهب إليها ويحسن لها قطع ذيولها . فهؤلاء العلماء الذين تنقصهم الجرأة والشجاعة عن أن يفرضوا آداب الإسلام الصحيحة على بيوتهم ، لا يجدون وسيلة لستر عيبهم إلا أن يزينوا للناس هذا الجبن والضعف والعجز .. إنهم لا يوضحون الفقه ولا يفسرونه . ولكنهم يخلقونه ويوجهونه ، إنهم يبتدعون ولا يتبعون ..

وهذا هو شأن المزيفين . .

فانتشار المدنية الغربية بين المسلمين ، يخلق بيئة أخرى ، لا تتقيد باتباع السنة . . ليس ذلك فحسب . . بل وتحمل العارفين بها على تأويلها بما يتفق مع هذه المدنية الفاسدة . .

ولقد ذكر هذا المعنى الأستاذ محمد أسعد « ليوبولدفايس » فقال :

إن السبب الذى يحمل على مثل هذا الموقف من المعارضة بين كثيرين من المسلمين المعاصرين ، يمكن تتبعه إلى مصدره ، إن السبب يرجع إلى استحالة الجمع بين طريقة حياتنا وتفكيرنا الحاضرة المتقهقرة ، وبين روح الإسلام الصحيح ، كما يظهر فى سنة النبى ﷺ فى نظام واحد .

ولكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم ، فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة ، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يؤولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحى - أى حسب ميول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو ، ولكن تلك المنزلة الممتازة التى للإسلام على أنه نظام خلقى وعملى ونظام شخصى واجتماعى - تنتهى بهذه الطريقة إلى التهافت والاندثار

وفى هذه الأيام التى زاد فيها نفوذ المدنية الغربية فى البلاد الإسلامية نجد سببا جديدا يضاف إلى الموقف المستغرب الذى يقفه من نسميهم « متنورى المسلمين » من هذه القضية ، ذلك هو قولهم ، إنه من المستحيل أن نعيش على سنة النبى ﷺ وأن نتبع الطريقة الغربية فى الحياة فى آن واحد

ثم إن الجيل المسلم الحاضر، مستعد لأن يكبر كل شيء غربي، وأن يتعبد لكل مدنية أجنبية، لأنها أجنبية ولأنها قوية وبراقة من الناحية المادية، هذا التفرنج كان أقوى الأسباب التي جعلت أحاديث النبي ﷺ، وجعلت جميع أنظمة السنة معها لا تجد قبولا في يومنا هذا، إن السنة تعارض الآراء الأساسية التي تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة، حتى أن أولئك الذين خلبتهم الثانية، لا يجدون مخرجا من مأزقهم هذا إلا برفض السنة قائلين إنها غير واجبة الاتباع على المسلمين، ذلك لأنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها، وبعد هذه المحاكمة الوجيزة يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم ـ لكي تظهر موافقة لروح المدنية الغربية ـ أكثر سهولة!»

الأسرة المسلمة

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء »
« المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى »
« أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما »
« قرآن كريم »

اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة :

أخذ أعداء الإسلام يبحثون عن الباب الذى يدفعون منه المدنية الغربية إلى المجتمع الإسلامى ، فوجدوا أن أحسن باب يطرق هو باب الأسرة المسلمة .. فالمجتمع يتكون من أسرات ، فإذا تحللت الأسرة ، تحلل المجتمع كله ، وإذا زالت عن الأسرة المسلمة مميزاتها التى استمدتها من كتاب الله وسنة رسوله ، زالت عن المجتمع المسلم جميع مميزاته الإسلامية ..

نعم .. لقد عرف أعداء الإسلام أن انتشار المدنية الغربية عن طريق الأسرة المسلمة ، أسهل وأيسر من نشرها بأى طريق آخر . .

بل إن انتشار المدنية الغربية فى الأسرة المسلمة ، سيأتى بجميع النتائج التى يريدونها ، إن اعتناق الأسرة المسلمة للمدنية الغربية ، معناه أنها تعتنق المدنية التى نبتت من أرض الكفر والإلحاد .. وتعتنق المدنية التى ولدتها الحروب الصليبية ، المفعمة ببغض الإسلام والمسلمين .. وتعتنق المدنية التى تسمم أفكار الأحداث وتنميهم على كراهية الدين .. وتعتنق المدنية التى تحارب سنة رسول الله .. وأخيرا تعتنق مدنية النزوات والشهوات ..

وهل هناك ما يهدد الأسرة المسلمة أخطر من قيامها على مدنية الشهوات والنزوات؟ أليس سر عظمة الإسلام فى الأخلاق التى اهتم بها كل الاهتمام ، حتى أن رسول الله ﷺ قال « إنما بعثت متمما لمكارم الأخلاق » ومدحه الله عز وجل بقوله « وإنك لعلى خلق عظيم »

أليس الطهر هو أظهر الصفات الخلقية التى عمل الاسلام على توفيرها

للأسرة المسلمة ؟ ألم يفرض الإسلام الحجاب على المرأة المسلمة حتى يوفر لها الطهر والعفة والاطمئنان ؟ ألم يحرم الإسلام اختلاط الجنسين حتى تحيا الأسرة المسلمة الحياة الآمنة المطمئنة الطاهرة ؟ ألم يفرض الله عزوجل الحجاب على أمهات المؤمنين الطاهرات ، ومنعهن من الاختلاط بالصحابة الكرام الذين كانوا مشعل الهداية والنور ، حتى أن رسول الله ﷺ قال فيهم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ثم ذكر الله تعالى بعد هذا الأمر الصريح بالحجاب ، الحكمة السامية المتوخاة منه فقال : « وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » ؟ ألم يعمم الله عز وجل هذا الحجاب أيضا فقال « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »

وللأسف الشديد ، فتح الكثيرون أبوابهم للمدنية الغربية ، فدخلت بيوتهم تعبث بأعراضهم وكراماتهم وعقائدهم ومستقبلهم . . لقد فتحوا أبوابهم للسفور والاختلاط ، والنزوات والشهوات ، وضحوا فى سبيل هذه المدنية الزائفة بالعفة والشرف والأخلاق .

وهل يمكن اعتبار أمة فقدت أخلاقها أنها أمة إسلامية ؟

وهل تستطيع أمة التهمتها الشهوات والنزوات أن تحفل بدينها واستقلالها ؟ .

وهل إذا فقد الرجال غيرتهم على أعراضهم - طبقا لقانون المدنية الغربية - تثور فيهم حمية الغيرة على أوطانهم ودينهم ؟

لقد طرقت المدنية الغربية باب الأسرة المسلمة ، ففتحه الكثيرون على مصراعيه ورحبوا بها . . فتحقق لأعداء الإسلام ما يريدون ! .

مميزات الأسرة المسلمة :

قامت الأسرة المسلمة على المحافظة على عفة المرأة وسلامة أخلاقها ،

حتى تنعم بأمن لا يتطرق إليه الخوف ، وطمأنينة لا تقلقها الشكوك والظنون ، وطهر لا يغشى حماه دنس الشهوات ، وفسوق الاختلاط ..

وجريا على ما جاء به الإسلام وعنى به الرسول الكريم من تميز المسلمين والمجتمع الإسلامى بأشرف الآداب ، وأسمى التقاليد ، حتى يشعر أتباع هذا الدين بالتفوق على غيرهم ، وحتى يتحقق فيهم وصف القرآن لهم بأنهم « خير أمة أخرجت للناس » ، وحتى يعتزوا دائما بأوامر دينهم ويعضوا عليها بالنواجذ ، ميز الإسلام الأسرة المسلمة بمميزات خاصة .. تباين بها غيرها من الأسر .. ميزها بالحجاب المفروض على المرأة تكريما لها وتطهيرا ، وميزها بنظام الطلاق الذى وضعه الله تعالى كضرورة لعلاج ما قد يتفاقم من إحن وخلافات ، وجعله بيد الرجل وحده .. وميزها بتعدد الزوجات الذى أباحه الإسلام لصيانة المجتمع من تفشى العلاقات غير الشرعية ولحكم أخرى يضيق المقام عن بيانها (١)

فلما أدخل المستعمرون المدنية الغربية فى بلادنا ، عملوا جهد طاقتهم على أن يمحوا هذه المميزات الثلاثة .. لقد هدموا الحجاب ، حتى تخرج المرأة المسلمة سافرة تختلط بالرجال ، كالمرأة الغربية سواء بسواء .. ولقد عملوا على سلب الرجل حق الطلاق وتقييده ، حتى يصبح الرجل المسلم كغير المسلم ، عاجزا عن استعمال الحق الذى منحه الله له .. ولقد عملوا على تقييد تعدد الزوجات ، حتى تزول عن الأسرة المسلمة ، إحدى الصفات التى تفخر بها ، وتمتاز .. منذ نزل هذا الحق فى كتاب الله ..

فإذا زال عن المرأة المسلمة الحجاب .. وإذا سلب الرجل حق

---

(١) راجع العددين ١٣٤ و ١٣٥ من النذير الخاصين بالطلاق وتعدد الزوجات .

الطلاق ، وإذا منع من تعدد الزوجات .. فما الذى يبقى من مميزات الأسرة المسلمة.. وماذا يكون الفارق بينها وبين الأسرة الغربية .. وما هى سمات الاسلام التى تبقى لها ؟

ألم تكن المدنية الغربية خبيثة عندما طرقت باب الأسرة المسلمة ،لتنفذ إلى غايتها فى هدم الروح الاسلامية !؟

الأسرة فى المدنية الغربية :

سبق أن بينت أن المدنية الغربية تقوم على أساس مادى بحت ، تهدف إلى المنفعة المحسوسة الملموسة ،ولا تتقيد بأخلاق ولا روح ولا مثل عليا. إن هذه المدنية المادية لا تربطها حتى بالنصرانية رابطة، إنها ديانة أخرى جعلت معابدها فى المراقص والمسارح ودور السينما والبنوك ومخابير المعامل والمصانع .

وبطبيعة الحال أثر هذا الأساس المادى النفعى على كيان الأسرة الغربية ، لأنه أثر على الفضائل نفسها، فمحاها من قواميس الحياة الاجتماعية.

يقول الأستاذ ليوبولد فايس فى كتابه « إننا نجد فى التبدل الأساسى الذى تخضع له الحياة الاجتماعية فى الغرب الآن ، تلك الفلسفة الأخلاقية الجديدة المبنية على الانتفاع تبرز للعيان شيئا فشيئا ، وكل الفضائل التى تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية ، كالمقدرة الفنية والوطنية والشعور القومى — هى اليوم موضع للمديح ولرفع قيمتها فوق ما هو معقول ، بينما الفضائل التى ظلت تعتبر إلى اليوم ، من جهة قيمتها الخلقية الخاصة كالحب الأبوى والعفاف ، تخسر من قيمتها بسرعة لأنها لا تهب المجتمع فائدة مادية محسوسة . إن العصر الذى كان فيه الحرص على الروابط المتينة فى الأسرة

من أجل سير الجماعات والعشائر ،قد تبدل الآن فى الغرب الحديث، بعصر

من النظام الإقطاعى أوسع مدى . والمجتمع الذى يكون فى أساسه فنياآليا — إذ ينظم بسرعة متزايدة على أساس آلى خالص — لا يكون سلوك الإبن فيه نحو أبيه ذا قيمة اجتماعيه كبرى ، ما دام أمثال هؤلاء الأفراد يتخالقون فى حدود اللياقة العامة التى يفرضها المجتمع على صلات أفراده . وبالتالى فإن الوالد الأوروبى يفقد فى كل يوم شيئا من سلطته على ابنه ، وكذا الإبن يفقد من احترامه لأبيه . ولقد أصبحت صلاتهما المتبادلة مغلوبة أو — من أجل كل هدف عملى — مقضيا عليها ، وذلك لافتراض مجتمع آلى يميل الى إلغاء كل امتياز لفرد على آخر ، ثم — إذا اعتبرنا تطور هذه الفكرة منطقيا — إلى إلغاء الامتياز الناتج من القرابة فى الأسرة . إن الصلة القديمة بين الأب وابنه تصبح مع الأيام مهجورة .

« وإلى جنب هذا يسير الانحلال التدريجى لما يسمونه « الآداب الجنسية القديمة » إن العفاف والإحصان ، يصبحان مع الأيام خبرا ماضيا فى الغرب الحديث ، لأنهما مفروضان من طريق الخلق فحسب ، وليس للاعتبارات الخلقية أثر مباشر محسوس فى رفاهية الشعب المادية . وهكذا نجد أن الفضائل الخلقية القديمة التى يؤيدها الدين ، أخذت تخلى مكانها بالتدريج للفضائل الغربية الجديدة التى تدعو إلى حرية فردية للجسد البشرى غير مقيدة . أما ضبط النفس ومراقبة الصلات الجنسية ، فإنهما يفقدان من أهميتهما بسرعة ، وإن الصلات الوحيدة الممكنة فى المستقبل ستكون مستمدة — فى أحسن الأحوال — من اعتبارات فى درس الجماعات الإنسانية والتناسل . . تلك هى بلا شك لادينية ، وهى فى هدفها الأقصى ، لادينية أيضا » انتهى . كلام الأستاذ فايس

نخرج من كل هذا ، بأن المجتمع — فى المدنية الغربية — لا يقوم على

أساس الأسرة بالمعنى السليم ، إنما يقوم على أساس جماعى ، وما دام المجتمع الغربى لا يقوم على أساس الأسرة ، فإنه يفقد كل ما يتطلبه نظام الأسرة من حقوق وواجبات وسلطات ، فلا سلطة للآباء على الأبناء ، ولا قوامة للأزواج على بيوتهم ، ولا أهمية للمحافظة على الأعراض .

وما دامت المدنية الغربية كذلك ، فلا مانع عند الغربيين والمتفرنجين ، من أن تراقص المرأة الرجل الأجنبى ، وأن تعرى النساء على الشواطىء على مرأى من الرجال .. وأن تفرط العذراء فى بكارتها ، وأن تعطى للمرأة حقوق الرجل ، لأنه لا قوامة للرجال على النساء .. وأن ...

وهكذا نجد أن المدنية الغربية تتعارض مع الإسلام فى نظام الأسرة . فالمدنية الغربية تتطلب عدم تنظيم الأسرة ، بينما الإسلام يقدس الأسرة ، وينظم جميع علاقاتها تنظيما دقيقا ، فحفظ الأب سلطانه على الأبناء ، ووضح حقوق وواجبات كل منهما على الآخر .. وحفظ للرجل قوامته على أهل بيته ، وحدد حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة .. وحرص على المحافظة على الأعراض ، ووضع القواعد التى تحول دون التفريط فيها .

اهتمام أعداء الإسلام بهدم الأسرة المسلمة :

ولما كانت المدنية الغربية تتعارض مع الإسلام ، اهتم المبشرون وأعداء الإسلام ، بالقضاء على جميع مميزات الأسرة المسلمة ، بل بالقضاء على نظام الأسرة ذاته ، وكثيرا ما أشاروا فى مؤامراتهم أو مؤتمراتهم ، إلى وجوب الاهتمام بحركات تحرير المرأة ، وإثارة المناقشات حول الطلاق وتعدد الزوجات ، حتى يشككوا المسلمين فى كمال النظام الإسلامى ، أو على الأقل يدفعوهم إلى تأويل أحكام الإسلام تأويلا لا يتفق مع حقيقتها .

وقد استطاع أعداء الإسلام أن يوطدوا أواصر الصداقة مع بعض

المسلمين المتعلمين ، والذين - بطبيعة الحال - لا يتعصبون للدين ولا لآدابه. وعن طريق هؤلاء المتعلمين ، أثاروا المناقشات حول نظام الأسرة المسلمة، وأخرجوا التأويلات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، والتى تتفق مع أهوائهم ونزواتهم .

ولقد ذكر المبشرون فى مؤتمر القاهرة الذى عقدوه فى سنة ١٩٠٦ أنهم استطاعوا معرفة أحوال بلاد المسلمين وأفكارهم ، وشعورهم وعواطفهم وميولهم ، وأنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم ، واستطاعوا أن يدخلوا قلوبهم بالتظاهر فى ودادهم وميلهم إلى ما تطمع فيه نفوس المسلمين من الاستقلال السياسى والاجتماعى والنشأة القومية ، وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين فى تأسيس جمعية الغرض منها إيجاد صلة تقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التى تتألف الأمة منها وإنماء روح الاتفاق . هذه هى الطريقة التى استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الأمور التى يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لا ريب أن عاقبتها الفشل . ولكن المبشرين الذين هم على شىء من الجرأة يقولون إنهم سمعوا بعض المسلمين يشكون من الزواج فى الإسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الدينى » (١)

ومعنى هذا ، أن أعداء الإسلام ألقوا بذور الفتنة ، فكانوا يتحدثون مع أصدقائهم من المسلمين عن الاسلام والمرأة والزواج ، ويلقون فى قلوبهم جراثيم الشك ، ليضعفوا من ثقتهم بكمال الإسلام .

إن التشكيك فى كمال نظام الأسرة فى الإسلام ، هى النغمة المرذولة التى يرددها أعداء الاسلام وأنصارهم من المنافقين .

لقد ألف القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير رسالة بعنوان « العالم الاسلامى اليوم » قال فيها « لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد

(١) الغارة على العالم الإسلامى صفحة ٢٣

أعظم من عقيدة الدين الاسلامى ، الذى اقتحم قارتى آسيـــا وأفريقيا الواسعتين وبث فى مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أوهم كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد، ومسترسلة سفوحهـــا فى مهاوى تعدد الزوجات وانحطاط المرأة !!» (١)

ثم اختتم عدو الإسلام كلامه بنصيحته للمبشرين بعدم اليأس ،لأن سوس «تحرير المرأة» ينخر فى عظام المجتمع الإسلامى ، فقال «ينبغى للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفـة ،إذ من المحقق أن المسلمين قد نمائى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين وتحرير المرأة» (٢)

وكما اهتم المبشرون فى مؤتمر القاهرة بأمر المرأة المسلمة، اهتموا كذلك به فى مؤتمرهم الثانى الذى عقدوه فى لكنو بالهند سنة ١٩١١ ، فقد كان من مواد هذا المؤتمر «حركات الإصلاح الاجتماعى والارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات» (٣)

وفى هذا المؤتمر وقف القسيس زويمر يخطب ،ليوضح كيف أن المسلمين يخرجون عن آداب دينهم ، ويتمسحون بالمدنية الغربية ،عن طريق التأويلات التى لا تتفق مع كتاب الله فقال «إن تأويل سورة الكهف وسورة النساء وتطبيقها على مقتضى العقل أمر مستحيل ، ولو اقتصرنا على مطالعة ما كتب عن الحجاب وتعدد الزوجات فى الصحف الاسلامية ، لاتضح لنا أن

(١) الغارة على العالم الاسلامى صفحة ٣٣
(٢) » » » » » ٤٧
(٣) » » » » » ٨٩

ما يظهر لنا من وحدة الأفكار فى الإسلام غير صحيح ، وهذه الوحدة مهددة بالنزاع والتناقض . ولا ريب فى أن فى فارس والسلطنة العثمانية بل والبلاد العربية ألوفا من المسلمين مقتنعون بصحة النصرانية ومخالفتها للاسلام . وأشار إلى قول الدكتور (و. شيد) من أن الاسلام يتحكك فى كل قطر بالمدنية العصرية ومبادئها. وملاحظته لهذه الانقلابات يتوقف عليها بقاؤه ، فتساءل عن نتيجة ذلك وعما إذا كان فى الإمكان مجاراة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادىء القرآن وتعاليمه ، وعما إذا كان التقدم الاجتماعى والعقلى المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحية فى الملايين من المسلمين ، أو أن العالم الاسلامى رجاله ونساءه ينهض من كبوته ليتسلق معالم المجد الذى أبقاه على الأرض يسوع المسيح بن الله!؟»

ومعنى كل هذا، أن أعداء الاسلام يشمتون فى الاسلام حينما يشاهدون المرأة المسلمة تتحلل من آداب دينها .. وحينما يشاهدون المسلمين يتمردون على تعاليم الله ..

فهل تحب ـ أيها المسلم ـ أن يشمت أعداء الاسلام فى دينك ؟

هل تحب ـ أيها المسلم ـ أن تتمرد على أوامر ربك ، وتحطم قواعد أسرتك ، وتقترب من الغاية التى أرادها لك أعداء الله ورسوله ؟

إذا كنت لا تحب كل هذا ، فطبق آداب الكتاب والسنة على أسرتك؟ وافتخر بأنك حريص غيور على حدود الله ، ورد كيد المجرمين فى نحورهم .

هدم الأسرة المسلمة خير وسيلة لمحاربة الإسلام :

ولقد رأى أعداء الإسلام ، أن خير وسيلة لهدم الإسلام ، هو القضاء على نظام العائلة المسلمة ، وجعل المرأة تطالب بحقوق تنافى تعاليم الإسلام ، حتى يجعلوا منها داخل البيت المسلم نفسه ، العدو الأكبر للدين الإسلامى ، فنشر الكاتب الفرنسى الشهير مسيو اتين لامى مقالا فى

مجلة العالمين الفرنسية بالعدد الصادر فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ رسم فيه هذه الخطة المثلى لهدم الإسلام فقال ما ترجمته :

« إن طريقة تربية أولاد المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيناه ، فإن تربية البنات فى مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى نفس الغاية التى وراءها نسعى ؛ بل أقول إن تربية البنات بهذه الكيفية هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله »

ثم قال ما ما ترجمته بالحرف الواحد فى صحيفة ٣٢٨ من المجلة المذكورة

« إن التربية المسيحية ، أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد للاسلام فى داخل حصنه المنيع عدوة لداء لا يمكن للرجل قهرها ، فإن الإسلام أسس على إهانة المرأة وإذلالها فيكون خروجها من الاستعباد

سبب دماره (كذا) والتربية المسيحية أقوى باعث على خروجها ، لأن المسلمة التى تربيها يد مسيحية ، تعرف ولاشك درجة اعتبار المرأة فى المجتمع الانسانى ، فتعرف كيف تتغلب على الرجل ، وتطلب علم ما لم تكن تعلم ، فتكثر من مطالعة الكتب جدها وهزلها ؛ حتى تظهر لها وظيفة المرأة . فلا تكتفى بأن تكون الزوجة المفضلة ؛ بل تحتم أن تكون الزوجة الوحيدة ، ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح فى قبضة تصرفها . وهنا تظهر تربية الراهبات ، لأنه سهل على المرأة والحالة هذه أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته ، فتبعده عن الاسلام ، وتربى أولادها على غير دين أبيهم ، وكلما قويت مداركها وعرفت مقدار حقوقها ، وواجباتها ، كلما زاد بغضها لدين يهين الأم بإهانة الزوجة وفى اليوم الذى تغذى الأم فيه أولادها بلبان هذه التربية وتطلعهم على

هذه الأفكار، تكون المرأة قد تغلبت على الاسلام نفسه »

تلك هى أقرب الطرق وأنجح الوسائل لمحاربة الاسلام بأهله دون جلبة ولا ضوضاء، وهى ولاشك ادعى لنوال المآرب، وبلوغ المرام، فليس لنا إلا اتباعها، أما السعى جهارا فى محاجة المسلم وإقناعه بما هو عليه من الضلال، فإنه يوقظ عوامل التعصب الكامنة فى نفسه الساكنة بين جوانحه، فلا يمكن تذليله، وهذا ليس من الحزم فى شىء » (١)

السفور سلاح الشيوعية أيضا :

وكما أن المدنية الغربية لا تعرف نظام الأسرة، كذلك الشيوعية لا تعرفه، وكما يعمل الاستعمار الغربى للقضاء على الاسلام، يعمل الاستعمار الشيوعى على محوه تماما.

إن النظام الأحمر قائم على الشيوعية فى كل شىء .. شيوعية فى الأرض. شيوعية فى المال .. شيوعية فى الملكية .. شيوعية حتى فى الأعراض.

والنظام الشيوعى نظام مادى بحت، لا يعرف إلا ما يتصل بالمأكل والملبس والمشرب، والمصانع والمعامل والمخابىر .. وهو عدو كل نظام يهدف إلى المثل العليا من الأخلاق .. وهو على هذا الأساس دين جديد، يهدف إلى مناوأة الأديان الأخرى.

ولهذا ليس عجبا أن يكون الاستعمار الشيوعى حربا على الاسلام وآدابه فى البلاد التى يحتلها .. وليس عجبا أن نسمع أن الشيوعيين يفرضون على المسلمات السفور والاختلاط ؟

هل يستطيع الذين يقولون إن سفور المرأة لا أثر له فى الإيمان والعقيدة والوطنية .. هل يستطيع دعاة السفور الذين يزعمون أنهم يعملون لتحرير

(١) النذير العددان ١٠٤، ١٠٥.

الأمة ، بتحرير المرأة من الحجاب .. هل يستطيعون أن يقولوا لنا لماذا اهتم المارشال تيتو هذا الاهتمام العظيم بفرض السفور والاختلاط على الجاليات الاسلامية ، حتى سالت دماء المسلمين اليوغوسلافيين أنهارا فى سبيل الحجاب ، وامتلأت السجون بالأحرار ، وحكم على العلماء بالأشغال الشاقة المؤبدة ؟

إن المارشال تيتو لم يترك وسيلة إلا ولجأ إليها لتحقيق غرضه الأثيم ، فنشر الدعوة إلى السفور .. وأعلن عن رحلات مجانا لنساء المسلمين لمشاهدة بقاع يوغوسلافيا ، ووضع من القوانين ما يعاقب به الرجل الذى يقف فى وجه أخته أو ابنته أو زوجته إذا رغبت فى السفور .. ولكن كل ذلك كان ضعيف الأثر ، فلجأ هذا المجرم الملعون إلى القوة الغاشمة ، وأمر بأن يكون السفور قانونا يعاقب من يخرقه .. وقبض على ألوف من الرجال وزج بهم فى السجون ، لأنهم لم يرضوا لنسائهم هذه الفوضى التى يريدها لهم ، واعتقل كبار العلماء ، وجلدوا وعذبوا ، لأنهم رفضوا الإفتاء بالباطل ، وأعلنوا مقاومتهم للقانون الجديد ، وبينوا حكم الاسلام فيه .

ولا تحسبن - أيها القارىء - أننى أبالغ فى القول ، وأننى أفترى كل هذا افتراء ، حتى أوهمك بأهمية الحجاب وخطورته .. ولكننى لخصت ما نقلته إلينا الصحف ..

فها هى ذى جريدة البلاغ تقول :

ألف المسلمون فى جمهورية مقدونيا اليوجوسلافية مظاهرات يعلنون بها احتجاجهم على القانون الذى يقضى على المرأة المسلمة بالسفور وقد قتل فى هذه المظاهرات ثلاثة على الأقل .

كان هذا فى الشهر الماضى حين اصطدم المتظاهرون بقوات البوليس الذى تصدى لقمع حركات الاحتجاج والاجتماعات فى القرى الواقعة فى

منطقتى جوفتيبار وتيتوف.

ولم تشر الصحف اليوجوسلافية أية إشارة إلى الاصطدام بالبوليس، ولا إلى حركات الاعتقال التى تلتها، وإن كانت المصادر المستقلة فى بلغراد وفى سكوبلى عاصمة مقدونيا قد أكدت وقوع هذا كله.

على أنه حتى الصحف الخاضعة لرقابة الحكومة لم تستطع أن تتجاهل القلق والتذمر اللذين تليا صدور القانون وتطبيقه فى شبنار، وهى إحدى مناطق مقدونية، وفى كسمت التى يعيش فيها آلاف من المسلمين كما يعيش أسلافهم.

وقد أذاعت وكالة تانجج وهى وكالة الأنباء اليوجوسلافية الرسمية أن أحد مشايخ المسلمين اليوجسلافيين قد حكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة مدة ثمانى سنوات لأنه - كما تقول صحيفة الاتهام - حاول إثارة العداء القديم بين أرثوذكس الصرب وغير الصربيين فى يوجوسلافيا.

وجاء فى نبأ هذه الوكالة أن هذا الشيخ نعت قانون رفع النقاب عن وجوه السيدات المسلمات فى منطقة شبتار بأنه حركة صربية صرف موجهة إلى القومية الشبتارية، وأنه جزء من مشروع واسع النطاق للحط من شأن أهل شبتار.

وجاء فى نبأ آخر أن العناصر المثيرة للعداء فى كثير من القرى أخذت تحاول إقناع أهل شبتار بأن رفع النقاب عن وجوه نسائهم مخالف لمبادىء الدين الاسلامى.

وكانت الحكومة اليوجوسلافية، والهيئات الأخرى المتعاونة معها قد شنت حملة شديدة من الدعاية ونشر التعليم فى المناطق الاسلامية جميعا، وكانت هذه الحملة مرتبطة أوثق الارتباط بصدور القانون.

وقد دعيت مئات من السيدات المسلمات « للتمتع » بحقهن الجديد فى القيام برحلات محلية يطفن خلالها بلغراد وساحل دلماسيا وغيرهما من الأماكن السياحية فى يوجوسلافيا .

ونظمت المحاضرات والبرامج الخاصة للمسلمات ووزعت عليهن كميات كثيرة من الملابس » . (١)

وأخيرا .. لما فشل تيتو فى جميع محاولاته، استطاع تحت تأثير الضغط والإرهاب أن يدفع بالمجلس الاسلامى الأعلى الذى يتمتع بتأييده ، إلى إصدار منشورات تذكر المسلمين بأن فى إمكان المرأة المسلمة ، أن تكشف عن أجزاء من جسمها إذا اقتضى عملها ذلك !! وقد استشهد هذا المجلس على جواز كشف المرأة المسلمة لوجهها وشعرها ويديها وذراعيها و ... بما هو حاصل فى مصر « المسلمة » !!

هل يستطيع دعاة السفور وأدعياء الوطنية أن يعللوا لنا سر اهتمام المارشال تيتو بمحاربة الحجاب ونشر السفور والاختلاط !؟

إننى أرفع عنهم حرج الإجابه ، وليسمعوا بأنفسهم ما قاله المستر أوفنر المراسل الخاص لمجلة « كريستيان ساينس » ببلغراد

« إن الحملة ضد الحجاب تنطوى على هدفين سياسيين : -

١ - إزالة الحواجز التى منعت مسلمى يوغسلافيا وعددهم مليون نسمة من الاختلاط عدة قرون بأهل البلاد المسيحيين وعددهم ١٥ مليونا

٢ - القضاء على الأقلية التى جعلت مستوى حياة الأقلية الاسلامية أقل عما هى فى مختلف أنحاء القارة الأوروبية . »

وترجمه ما قاله المستر أوفنر هو أن الجالية الاسلامية فى يوغوسلافيا

---

(١) البلاغ العدد ٩٠١٦ الصادر فى ١٩ جمادى الأول ١٣٧٠

رغم أنها أقلية لا تتجاوز المليون نسمة ، استطاعت أن تبقى على كيانها فى هذا المحيط الذى يحوطها من كل جانب ، لاحتفاظها بآداب الاسلام بكل دقة وأمانة . فليس الهدف الحقيق هو تحقيق الاختلاط بين المسلمين والمسيحيين ، فمن المؤكد أنه واقع فى حدود المعاملات بين الفريقين كما هو فى كافة أنحاء العالم ، وليس الهدف الحقيق أيضا هو رفع مستوى المسلمين هناك ، إذ أن الواقع يؤكد أن مستوى المسلمين فى يوغسلافيا لا يقل عن غيره ، بل فى كثير من الأحيان كان أعلى من مستوى الأكثرية ، رغم التضييق عليهم ، وحرمانهم من كثير من الحقوق الطبيعية الممنوحة لأهل البلاد .. إنما المقصود من مؤامرات تيتو هو القضاء على كيان هذه الأقلية المسلمة بإفنائها وإدماجها فى المجموعة الكبيرة المحيطة بها . وذلك عن طريق هدم الحياة العائلية ، والإفساد الخلقى . وقد ذكر هذا بصراحة الأستاذ كامل يوسف عودى من علماء الأزهر اليوغسلافيين ، لمندوب البلاغ فقال :

« نشر البلاغ فى عدده ٩٠١٦ خبرا عن ثورة مسلمى يوغسلافيا على حكومتهم لأنها أمرت النساء المسلمات بالسفور .. والواقع أن مشكلة المرأة المسلمة فى يوغسلافيا لا تنحصر فى منع الحجاب ، بل تتعداه إلى ما يفضى إليه السفور من هدم الحياة العائلية والفساد الخلقى » (١)

---

(١) البلاغ العدد ١٠٢٦ فى ٢٩ جماد أول ١٣٧٠

الاستعمار يحارب الإسلام

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم »
« إن استطاعوا . ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت »
« وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا »
« والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »
قرآن كريم

وطنية الإيمان ووطنية الأصنام

ليس استعمار أوربا للبلاد الاسلامية إلا وسيلة للقضاء على الدين الاسلامى وتعاليمه ومقوماته .

هذه حقيقة يجب أن تكون راسخة فى ذهن كل مسلم ، وماثلة أمام كل زعيم أو قائد استباح لنفسه تسلم زمام حركة التحرير والاستقلال . فالوطنية الصادقة ليست ضربا من ضروب الوثنية ، ولكنها ضرب من ضروب الايمان ، فليست الوطنية السليمة أن يحب الانسان وطنه ، بمعنى أن يعبد الأرض التى نشأ فيها ويعتبرها أرضا مقدسة يذود عن حماها ، ويعتبر نفسه شهيدا إذا مات فى سبيلها ، ولكن للوطنية السليمة معنى آخر مجازيا يتفق والايمان الصحيح . إن الوطنية السليمة هى أن يحب الانسان بنى وطنه ، ويحافظ على عزته وعزتهم ، ومن مظاهر هذه العزة ، ألا يسمح للأجنبى بالاعتداء على بلاده والتحكم فى أرض أو أقوات أو أموال أو أعراض بنى وطنه . هذه هى الوطنية الحقة ، وطنية العزة والإيمان التى تقوم على أساس قول الله عز وجل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

الاستعمار يخشى وطنية الايمان :

والاستعمار يخشى وطنية الإيمان فقط ، لأنها قائمة على أساس الاسلام الذى سقاهم الكؤوس المرة فى الحروب الصليبية ، فسرت فى دمائهم بغضا وكراهية للمسلمين .. الاسلام الذى يبعث معانى القوة والعزة فى نفوس أتباعه فيسرى وقودا فى عروقهم ، فلا يحفلون إلا بالمثل العليا .

لقد طالعنا التاريخ بصفحات قادة الوطنية فى البلاد الاسلامية ،

فلم نجد المستعمرين يخشون إلا حركات التحرير التى تقوم على أساس إسلامى .

كان المرحوم مصطفى كامل باشا فى مصر ، هو العدو الخطير للاستعمار الإنجليزى ، وكان مصدر خطورته فى اعتصامه بالاسلام ، ومحافظته على آدابه ، فكان الاستعمار يريد منه فقط ألا يخلط الاسلام بالوطنية ، ولكنه رحمه الله ـ قال فى خطبة زيزينيا الكبرى :

« قال أعداؤنا أيضا : إننا نخلط الاسلام بالوطنية ، ونتكلم دائما عن المسلمين ، ونطلب إدخال الدين فى التعليم ، وفسروا ذلك بأنه تعصب ذميم . فكيف لا تكون انجلترا وألمانيا متعصبتين ، وهما الدولتان المتمسكتان بالتعليم الدينى فى مدارسهما ، ونتهم نحن بالتعصب الدينى ؟ لماذا يكون الانجليزى وطنيا وبروتستانتيا فى آن واحد ، ولا يكون المصرى المسلم وطنيا ومسلما ؟ ألا تكون الوطنية صحيحة سليمة إلا إذا قضت على الدين ومحته ! ألا إن الحقيقة الساطعة التى لا ريب فيها ، هى أن الوطنية والدين يتفقان بل وقد يكونان متلازمين ، إن من المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية ، لأنه لا سبيل لإبادة جيش الباطل الذى ألف ونظم باسم الدين إلا بالدين نفسه »

ولم تقف وطنية مصطفى كامل فى الدفاع عن الاسلام على حد الألفاظ فحسب ، ولكن كل مواقفه تشهد بأن وطنيته كانت وطنية إسلامية لا وطنية وثنية ، فكم دافع عن الخلافة على أساس أنها نظام إسلامى ؟ وكم وقف يرد على الداعين إلى المدنية الغربية ، وإخراج المرأة من البيت ، فقال رحمه الله « إننى لست من أنصار المدنية الغربية الذين

يقولون بتقليد الغربيين تقليدا أعمى ، إن الحجاب فى الشرق عصمة ، وأى عصمة ، فحافظوا عليه فى نسائكم وبناتكم .

وهكذا كانت وطنية مصطفى كامل وطنية إيمان ، فخشاها المستعمر وحاربها بكل ما استطاع من قوة ، لأنه شعر بخطورتها ، وأما ما عداها من الوطنيات الوثنية ، التى فصلت الدين عن الوطنية ، فقالت : « الدين لله .. والوطن للجميع » هذه الوطنيات الأخرى وطنيات زائفة ، احتضنها المستعمر ورفعها بأياديه الخفية على مسرح الحياة .

وها هى الحركة الوطنية فى إيران ، كانت تقودها أحزاب متعددة ، ولكن الإنجليز لم يرهبوا أية حركة من هذه الحركات ، لأن هذه الأحزاب تعتنق الوطنية الوثنية ، حتى إذا لمع اسم آية الله كاشانى ، واتخذت الحركة الوطنية صبغة دينية ، وقامت على أساس إسلامى صحيح ، فزعت انجلترا ، بل فزع الغرب كله ، ونجحت الحركة نجاحا كبيرا .

وفى مصر قامت أحزاب عديدة منذ سنة ١٩١٩ تتاجر بالوطنية ، وتغرر بالشعب بحركات التحرير ، ولكنها كانت حركات يباركها الشيطان ، لأنها اعتنقت الوطنية الوثنية المجردة من الإيمان ، فلم يخش الاستعمار الإنجليزى هذه الحركات جميعها ، حتى إذا لمعت فى الأفق الهيئات الدينية ، التى بدأت تتسلم قيادة الحركة الوطنية ، فزع الانجليز فأوعزوا إلى صنائعهم بمقاومة هذه الحركات وعرقلتها ، والحيلولة بين أنصارها ودعاتها وبين الوصول إلى مجلس النواب ، حتى لا يشتد ساعدهم ، ويرتفع صوتهم ، ويسيطروا على الهيئات التشريعية .. أو يؤثروا فى سيرها الذى لا يتقيد بالإسلام .

ولقد قضت الأحزاب السياسية عشرات السنين ، وشعارها العمل لاستقلال البلاد بالطرق المشروعة ، وبما لا يتعارض مع المصالح

البريطانيه . فاطمأن الإنجليز من ناحية هذه الأحزاب ، لأنها لاتفكر ولن تفكر فى الالتجاء إلى الوسائل الإيجابية لمقاومتهم .

بينما اتجهت الهيئات الإسلامية نحو الجهاد، وهو الذى تحث المبادىء الإسلامية عليه ،وكانت لبعض هذه الهيئات صفحات مشرفة فى الكفاح فى فلسطين ،لأن وطنية هذه الهيئات ،وطنية تقوم على الإيمان بالله والجهاد فى سبيله . . فقاوم الإنجليز هذه الهيئات ، خوفا من أن تدعم حركة التحرير على أساس الإسلام .

محاربة الإسلام وسيلة للاستعمار :

لماذا يحارب الاستعمار الحركات الوطنية القائمة على أساس إسلامى ؟. وماذا يريد الاستعمار من البلاد الإسلامية التى يحتلها ؟

قد يريد الاستعمار أن يستغل البلاد الإسلامية اقتصاديا ، فيسلب أقواتها وأموالها ، ويفتح أسواقاً تجارية لصناعاته ومنتجاته .. ولكنه يريد أولا وقبل كل شىء ، القضاء على الإسلام وآدابه ومقوماته ، يريد هذا كوسيلة وكغاية . .

أما أن الاستعمار يريد القضاء على الإسلام كوسيلة لتدعيم قدم الاستعمار فهذا لأن الأمة المغلوبة على أمرها، تقاوم الاستعمار ما دامت تشعر بأن هناك فوارق بينها وبين الأمة الغاصبة .. فطالما شعرت الأمة المغلوبة أن المعتدين على حريتها، لاتربطها بهم رابطة ما ، لا رابطة الجوار، ولا رابطة اللغة ، ولا رابطة الثقافة ، ولا رابطة الآداب والتقاليد ، ولا رابطة الدين والعقيدة - طالما شعرت الأمة المغلوبة بكل هذه الفروق ، اندفعت بفطرتها إلى مقاومة المعتدين وطردهم .. أما إذا شعرت هذه الأمة بأن الذين يتدخلون فى شئونها ، ماهم إلا أناس تربطها بهم رابطة الثقافة

والآداب والتقاليد والمدنية ، ولا يفرق بينها وبينهم إيمان قوى بدين أو عقيدة ؛ إذا شعرت الأمة المغلوبة بهذا الشعور ، فإنها لا تجد داعيا للدعوة إلى طرد المستعمرين ، لأنها تعتبرهم كالمواطنين سواء بسواء ، وتنظم علاقتها معهم كتنظيم الأخ مع أخيه فى أسرة واحدة .

لهذا نجد أن الدول الأوربية المعتدية على حريات المسلمين ، تعنى بنشر الثقافة والآداب الأوربية فى البلاد التى تستعمرها .. إنها تحاول أن تنزع أهلها من مجرى ثقافاتهم وآدابهم ومقوماتهم وعقائدهم ليضعوهم فى مجرى الثقافات والآداب والمقومات الغربية باسم الترقية والتمدين !! كأنهم أوصياء على العالم ، يريدون ترقية البلاد الصغيرة ابتغاء وجه الله !!

لقد أدلى كاب من كلاب الاستعمار بهذا المعنى ، بأسلوب لا يحتمل التأويل والتفسير ، فقال بصراحة ، إن بقاء الإسلام وكتاب الإسلام وآداب الإسلام عقبة فى سبيل الاستعمار .. لقد قالها جلادستون أحد وزراء خارجية بريطانيا حينما وقف فى مجلس العموم ، وهو يحمل بيده النجسة كتاب الله « مادام هذا القرآن فى الأرض ، فلن نستطيع أن نحكم المسلمين »

ومعنى هذا أن القضاء على الإسلام وآداب الإسلام ، هو أقوى الوسائل والضمانات لتوطيد أقدام المستعمرين .

القضاء على الإسلام غاية الاستعمار :

أما أن الاستعمار يريد القضاء على الإسلام ، كغاية للاستعمار ذاته ، فهذا يرجع إلى العداء العميق الذى تمتد جذوره فى صدور الأوربيين منذ الحروب الصليبية .. إنهم يكنون كل العداء للمسلمين وحدهم ، وللإسلام وحده ..

ولقد طالعت القارىء ، كيف أن المؤتمرات التبشيرية كانت ترمى إلى

القضاء على المسلمين ، بنشر المدنية الغربية .. ولكن ما كادت الصحف الإسلامية تنشر مقالات هؤلاء المبشرين ، حتى قام هؤلاء المبشرون ، يقولون إنهم لا يريدون من المسلمين إلا أن يرتقوا إلى مستوى المسيحيين الأوروبيين ، فإذا استجاب المسلمون إلى هذا النداء ، زالت كل عقبة فى سبيل مقاومة الاستعمار !! إنهم لا يريدون من المسلمين سوى أن يودعوا آداب وتعاليم دينهم ، ويتمسكوا بمدنية أعداء الإسلام .

نعم لقد قالوا هذا على لسان رجل يدعى لويس موسنيون فى مقال له بجريدة العالم الإسلامى .. قال هذا العدو : (١) .

« جريدة المؤيد ومجلة المنار وجريدة الاتحاد العثمانى تنكر على مجلة العالم الإسلامى أنها بينت للمسلمين كيف أن القوات الأوربية المختلفة تتهافت لاستدراج الشعوب الإسلامية وإدخالها فى طرق أخلاقية واجتماعية وسياسية جديدة ، ولو كانت هذه الصحف مدركة سير الأمور التى لا مبدل لها ، لكانت تشكر مجلتنا على صنيعها ، ولما كانت تقول « لترجع إلى التعليم العربى القديم ، ونكتفى بتغييره تغييرا سطحيا » بل كانت تقول : لنفتح مدرسة الغد ، المؤسسة على حضارة إسلامية عصرية وهى الكفيلة بخلاصنا .. إنهم لو أعملوا الفكر والروية لمعرفة الصعاب الحقيقية التى تعترض رسوخ قدم الإنكليز فى مصر لاتضح لهم - وهم فى القاهرة - أنها ليست منوطة بالوطنية الدينية أو الوطنية السياسية ، بل بالنهضة الاجتماعية الكاملة ، ولا يمكن للمصرى المسلم أن يخرج من تحت السلطة البريطانية بتوطيد أركان دينه ، بل بإنهاض المسلم المتنور إلى مستوى الفرد المسيحى المتنور » .

(١) الغارة على العالم الإسلامى صفحة « ١٨٠ »

ولقد صرح أحد المجرمين الإنجليز بأن سر استعمارهم للبلاد الإسلامية هو الانتقام لهزيمتهم فى الحروب الصليبية .. فعندما دخل الجيش الإنجليزى فلسطين فى الحرب العظمى الأولى ، ووقف عند قبر البطل العظيم صلاح الدين الأيوبى ، رضى الله عنه ، قال المجرم اللنبى : «الآن انتهت الحروب الصليبيـــة . .»

وقال الجنرال الفرنسى كاترو فى دمشق فى سنة ١٩٤١ « نحن أحفاد الصليبيين ، فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل» !! .. ونطق زميل له فى الجزائر سنة ١٩٤٥ بنفس الألفاظ والمعانى .. فالكل يدورون حول محور واحد : محور الحقد على الإسلام ، والتعصب الصليبى الذميم .

وإن المنظمات الدولية التى تخدعنا بها الدول الغربية ، ما هى إلا وسيلة من وسائلهم التمثيلية ، التى يرمون من ورائها إلى القضاء على الإسلام والمسلمين ، إن هذه المنظمات توضح لنا كيف أن العنصر المشترك فى هذه الدول جميعها هو بغض الإسلام ، والعمل على الخلاص من المسلمين . أى دولة من الدول الإسلامية أنصفها مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة ؟ إن جميع الدول الإسلامية قد عرضت مشاكلها على هذه الهيئات ، فما نالت واحدة منها حقها ؟ مصر .. إيران .. فلسطين .. أندونيسيا .. مراكش . . كلها جميعا خذلها الأوربيون ، رغم وضوح حقوقها فى الحرية؟ والسبب أن غاية الاستعمار الأوربى هى القضاء على الإسلام ، ولقد اتحد الجميع على هذه الغاية إنهم يريدون أن يثنونا عن التفكير فى توحيد وتنسيق جهود المسلمين .

بل إن المبادىء التى تفرضها هذه الهيئات ترمى من ورائها إلى فرض المدنية الغربية ، والقضاء على الآداب الإسلامية ، كالدعوة مثلا إلى إعطاء المرأة الحقوق السياسية ، ومساواة النساء بالرجال فى الأعمال العامة . .

ونخرج من كل هذا بنتيجة منطقية، هي أن الاستعمار الأوربي قد جاء إلى البلاد الإسلامية ، ليستميل المسلمين إلى المدنية الغربية ، ولينتزع من قلوبهم حب الإسلام ، ويوم يتخلى المسلمون عن آداب دينهم وتعاليم رسولهم ، يحققون للاستعمار الغاية التي ينشدها ، والهدف الذي يسعى إليه .

الشيوعية تعمل لإبادة المسلمين :

ولا يحسب مسلم أن طريق خلاص المسلمين وحريتهم ، في الالتجاء إلى الكتلة الشرقية ، وفي الارتماء في أحضان الشيوعية .

إن الذين يذيعون على الناس أن الحرية الدينية سائدة في النظام الشيوعي إنما يموهون الحقائق الثابتة ، والحوادث الواقعة ، التي تنطق بأن الشيوعية تعمل على إبادة الأديان .. وهل ننسى أن الشيوعية قد أقامها لينين على أساس جملته المعروفة « إن الدين أفيون الشعوب » .

لقد طالعت القارىء بالفظائع التي يرتكبها المارشال تيتو في يوغسلافيا من جلد وسجن وإعدام ، في سبيل إجبار المسلمين على التخلي عن آداب دينهم .. وما يرتكبه تيتو من فظائع ما هو إلا صورة مصغرة للمؤامرة الكبرى التي دبرها الشيوعيون للقضاء على المسلمين ، بطريق الإبادة والإفناء .. إن الشيوعيين يتخذون من وسائل الافناء المنظم ما لم يعرفه التتار ، ولا الصليبيون في أشد عصورهم قسوة وفظاعة .

لقد كان عدد السكان المسلمين في الأرض الروسية اثنين وأربعين مليونا عند ابتداء الحركة الشيوعية ، فتناقص عددهم تحت مطارق الإفناء المنظم ، والقتل والتجويع ، والنفي إلى سيبريا ، حتى وصلوا في خلال ثلاثين عاما فقط إلى ستة وعشرين مليونا . فيكون ستة عشر مليونا من المسلمين في الأرض الروسية وحدها قد أبيدوا .. أما في الصين الشيوعية ، فالمأساة

تتكرر الآن فى تركستان الشرقية ، بنفس الوسائل ونفس الشناعة . . وفى يوغوسلافيا تتم حركة التطهير من العنصر الإسلامى .. وفى ألبانيا كذلك .كل أرض مستها الشيوعية ، قد نزلت فيها النقمة على رءوس المسلمين بشكل وحشى يروى الفارون منه أخباره وتفصيلاته ، كما تروى أساطير الحميجية الأولى .. ولقد ذاق المسلمون من قبل على يد القيصرية الروسية ماذاقوا باسم العصبية الدينية ، فأما اليوم فهم يذوقون الويل نفسه بل أشد وأشنع باسم العصبية الشيوعية (١)

ثقافة استعمارية فى مدارس حكومية :

إذا كان الاستعمار يعمل على التخلى عن الآداب الإسلامية ، والتمسك بالتقاليد الغربية .. إذا كان الاستعمار يعمل لهذه الغاية ، فإن كل استقلال أو حرية تعطى لنا بعد تحقيق هذه الغاية ، ما هو إلا احتلال ، خير منه أى احتلال آخر .

ولقد استطاع الاستعمار أن يحارب كل مقوم حقيقى من مقومات الإسلام ، ولم يدع منها إلا المظاهر التى لا أثر لها فى المقاومة والكفاح . ولقد بث المستعمرون سمومهم ضد الإسلام فى كل ناحية من نواحى الثقافة والتربية ، حتى اطمأنوا تمام الاطمئنان ، إلى أنه سيأتى اليوم الذى يصل فيه السم إلى القلب !!

فحينما اجتمع مؤتمر المبشرين فى جبل الزيتونة بفلسطين عام ١٩٠٩ وقف مقرر المؤتمر ليقول : «إن جهود التبشير الغربية فى خلال مائة عام

(١) العدد ٩٧٢ من الرسالة ـ السنة العشرون ـ عن مقال « طريق واحد » للأستاذ سيد قطب .

قد فشلت فشلا ذريعا فى العالم الإسلامى لأنه لم ينتقل من الإسلام إلى المسيحية إلا واحد من اثنين : إما قاصر خضع بوسائل الإغراء بالإكراه، وإما معدم تقطعت به أسباب الرزق فجاءنا مكرهاً ليعيش ، وهنا وقف القس زويمر المعروف ليقول « كلا ! إن هـذا الكلام يدل على أن المبشرين لا يعرفون حقيقة مهمتهم فى العالم الإسلامى .. إنه ليس من مهمتنا أن نخرج المسلمين من الإسلام إلى المسيحية. كلا ! إنما كل مهمتنا أن نخرجهم من الإسلام ، وأن نجعلهم ذلولين لتعاليمنا ونفوذنا وأفكارنا .. ولقد نجحنا فى هذا نجاحا كاملا ، فكل من تخرج فى مدارسنا ، لا مدارس الارساليات فحسب ، بل والمدارس الحكومية والأهلية التى تتبع المناهج التى وضعناها بأيدينا وأيدى من ربيناهم من رجال التعليم .. كل من تخرج فى هذه المدارس خرج من الإسلام بالفعل وإن لم يخرج بالاسم . وأصبح عونا لنا فى سياستنا دون أن يشعر ، أو أصبح مأمونا علينا ولا خطر علينا منه ! .. لقد نجحنا نجاحا منقطع النظير .. »

أجل .. لقد نجح المبشرون والمستعمرون نجاحا كبيرا .. لقد سموا نظم التعليم .. وصنعوا لنا قادة وزعماء لا يتقيدون بالإسلام فى قليل أو كثير .

إن نظم التعليم فى مصر لا تزال - كما رسمها دنلوب - تعتبر الدين مادة ثانوية ، ليس لها من الأهمية فى نجاح التلميذ أو رسوبه ، ما لمادة الرسم والأشغال واللغة الانجليزية ، واللغة الفرنسية .

بل إن التعليم فى مصر ، قائم على حقن الطلبة بالآراء التى تتعارض مع الاسلام ، والتهوين من شأن الأبطال والقادة المسلمين ، ورفع قيمة الغربيين.

فقاسم أمين ، يدرسون كتبه وتاريخه للتلاميذ ، على أنه بطـل أنقذ الأمة ، مع أنه هو المجرم الذى أفسد أمة .

ومحمد عبده يدرس تاريخ حياته على أنه إمام خطير ووطنى كبير ، ويغفلون من تاريخه أنه كان الصديق الودود لكرومر ، والعدو اللدود لمصطفى كامل .

ونابليون .. ونلسون .. ونوبار .. وغاريبالدى ... و.. والكثيرون من قادة الغرب ، وأدعياء الوطنية فى مصر ، يدرس تاريخ حياتهم بالإطناب والتفصيل

أما تاريخ الرسول ﷺ ، وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، وتاريخ أبطال المسلمين الفاتحين كخالد بن الوليد وأبى عبيدة وتاريخ فقهاء المسلمين كالشافعى وأبى حنيفة وتاريخ مصطفى كامل ومحمد فريد .. أما تاريخ هؤلاء جميعا ، فلا يحتل من كتب التلاميذ والطلبة إلا صفحات قليلة مقتضبة مشوهة ، كأنه ليس لهؤلاء جميعا ما لنابليون ونلسون وقاسم أمين وجمال الدين ومحمد عبده ونوبار وخلافهم من الأهمية والخطورة !!

وتكون النتيجة أن الذى يتعلم فى المدارس المصرية ، يخرج وفى ذهنه عقيدة واحدة ، هى أن الإسلام دين عبادة فقط ، وأنه لم ينظم كل كبيرة وصغيرة من شئون الحياة . ولا يعلم أن له آدابا وتعاليم سامية فى الحكم ، وفى الأسرة ، وفى المجتمع ، وفى الحرب والسلم ، وفى الزواج والطلاق ، وفى التربية والتعليم و . . الخ

ويخرج التلميذ أيضا ، وهو يعتقد أن أبطال وعلماء الغرب ، خير من أبطال وعلماء المسلمين .

وإذن .. فيجب أن نهدم مناهج التعليم التى وضعها المبشرون بأيديهم ، كما قال زويمر بحق .. ويجب أن نبنى التربية والتعليم على أسس إسلامية صحيحة ولقد حاول أحد الوزراء الأجلاء بحق ، وهو سعادة الأستاذ الكبير

احمد مرسى بدر بك (١) أن يقوم بهذا الإصلاح الخلقى الشامل فى التعليم، ولقى كل ترحيب من دعاة الأخلاق وأنصار الفضيله ، ولكن بعض من رباهم المستعمرون - كما قال زويمر - قاموا فى وجه الوزير ، وما إن تسلموا مقاليد الحكم بعده ، حتى نقضوا كل ما أقامه هذا الوزير الفاضل من بناء .

وإنى لأرجو أن تسعفنا الأقدار المسعدة ، بوزير من طراز احمد مرسى بدر بك ، يقيم التعليم والتربية على أسس إسلامية صحيحة ، ويهدم آثار الاستعمار الممتدة فى مناهج التعليم .

---

(١) إننى أسجل ما قام به الأستاذ احمد مرسى بدر بك من باب الإنصاف، وأرجو أن يكون أعضاء حزبه جميعا ، وأعضاء جميع الأحزاب الأخرى فى مثل فهمه للتوجيه الخلقى .

صنائع أعداء الإسلام

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما
نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون »

(قرآن كريم)

هوان الأعراض هوان الرجولة والكرامة :

حينما دخل نابليون بونابرت البلاد المصريه على رأس جيش عرمرم كبير ، لم تكد ترتاح وتطمئن جيوشه قليلا ، حتى بدأت تقيم حفلات الظفر والانتصار ! وخرج الفرنسيون إلى الشوارع والطرقات بصحبة زوجاتهم الفرنسيات ، وهن - كما نعرف - عاريات أو شبه عاريات .

لم تكد تقع أنظار المصريين على أولاء الفرنسيات بهذه الأوضاع الداعرة ، حتى قالوا فى أنفسهم : ويل لهؤلاء الفرنسيين ، إنهم يريدون أن يفسدوا علينا بيوتنا ، حتى ينتقل فسق نسائهم إلى نسائنا . إنهم يفتنوننا بالمدنية الغربية .. مدنية العرى والإباحية والفجور .. إن رضاءنا بخروج الفرنسيات على مرأى من أنظارنا بهذه الأوضاع ، معناه الخطر الأكبر الذى يهدد أخلاقنا ونفوسنا وأرواحنا وبيوتنا .. وإن رسول الله ﷺ قال « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء »

وما إن سرى ذلك الخاطر الكريم فى قلوب المصريين ، حتى صدرت الأوامر من العلماء بأن تقام المتاريس فى الشوارع والحوارى والأزقة ، وأن تخرج القاهرة على بكرة أبيها فى ثورة جارفة ضد الفرنسيين الكافرين. وكان أول أسباب الثورة — كما يحدثنا التاريخ — هو خروج الفرنسيات إلى الشوارع وهن سافرات كاسيات عاريات .. لقد عزت عليهم أعراضهم، فعزت عليهم رجولتهم وكرامتهم

ولقد نجحت الثورة نجاحا كبيرا ، وأقضت مضجع نابليون وأصحابه ، فاضطر إلى مراعاة شعور المصريين .

ذلك هو حال مصر وشعور المصريين ، أيام أن فتح الفرنسيون هذه البلاد ، أما اليوم ، فقد خرجت إلى الطرقات ، لا النساء الأجنبيات فحسب ، بل

نساء المسلمين أيضا ، بل أصبح أمرا عاديا أن نطالع كل يوم فى الصحف أخبار وصور المسلمات ، وهن يراقصن الأجانب ، بل وهن عاريات على الشواطىء ، بل وهن يزنين باسم الزواج من غير المسلمين .. ومع كل هذا ، لا ترى المسلمين يتحركون ، ولا ترى العلماء يتكلمون أو ينطقون ، لقد هانت عليهم أعراضهم ، فهانت عليهم رجولتهم وكرامتهم !!

فجور حبيس القصور :

ولما ترك الفرنسيون هذه البلاد ، لم يستطيعوا أن ينشروا روح الفجور والمجون فى الأمة ، لأن ثورة أكتوبر أوقفتهم عند حدهم وردتهم إلى صوابهم .. ولكن مع هذا استطاع الاحتلال الفرنسى أن يترك آثارا فى بعض البيوت الكبيرة ، بيوت الكبراء والعظماء .. فقد تسربت إلى تلك البيوت بعض الصور والتماثيل العارية ، كما تسربت إليها بعض عادات الفرنسيين وأخلاقهم ، التى دفعت بهم إلى طريق التحلل والمجون .. وقد ساعدهم على هذا التحلل ضعف ثقافتهم الاسلامية ، وطبيعة ثقافتهم الغربية

ولكن لما كان للعرف الإسلامى العام مكانته المقدسة لدى أغلب الناس لم يجرؤ هؤلاء الكبراء أو العظماء أن يظهروا أمام الناس بأخلاقهم وعاداتهم المتفرنسة ، فظلت هذه العادات الدخيلة حبيسة القصور ، حتى إذا ظهرت الدعوة إلى السفور والاختلاط ، رفعوا الحجاب .. أو أزالوا تلك الأثمال الباقية التى كانت تستر عوراتهم ، ولا تصون أعراضهم ، والتى كانوا — فى الحقيقة — يسدلونها خارج القصور ، أما داخلها فلم تكن لآداب الإسلام سلطان عليهم .

كانت هذه البيوت الكبيرة ، هى المعول الذى ساعد أعداء الإسلام على تحقيق غايتهم .. فقد استغلهم المستعمرون ، بحكم صلتهم بهم ، وترددهم

على أوروبا فى رحلات مختلفة ، فى النقاط المدنية الغربية ، والقاء بذورها فى البلاد الإسلامية .

واستطاع هؤلاء الكبراء، بحكم صلتهم بكبار المسئولين من رجال الدولة ، وفى مقدمتهم بعض العلماء والمثقفين ثقافة عالية وأوربية أن يربطوا أواصر الصداقة بين الكثيرين منهم وبين أعداء الاسلام !!واستغل أعداء الاسلام هذا الجو الجديد ، فأخذوا - باسم الثقافة - ينشرون سموم المدنية الغربية ، عن طريق هؤلاء العلماء والكبراء !!

وقد ساعد على استجابة بعض العلماء والمثقفين لإيحاءات المستعمرين ، وجود كل مصالح وأموال البلاد بأيديهم، وكانت قلوبهم سقيمة ، لا تتحمل إيثار الصالح العام على صالحهم الخاص ، ففضلوا أن يبيعوا دينهم بدنياهم .

نازلى فاضل .. صديقة كرومر

إذا ربطنا بين فصول هذه الرسالة بعضها، استطعنا أن نعرف مدى الطعنة التى طعنتها الأميرة نازلى فاضل لدينها وبنى وطنها ، واستطعنا أن نعرف قيمة الخدمة التى أدتها لأعداء الاسلام وللمستعمرين ، بإقدامها على تحدى آداب الاسلام، وإحلال المدنية الغربية الفاجرة، محل التعاليم الاسلامية الطاهرة

ولكن إذا علمنا فى الوقت نفسه ، قوة صداقتها لطغاة الاستعمار الذين احتلوا بلادنا ، وسلبوا أقواتنا ، واستباحوا أموالنا وأعراضنا .. إذا علمنا كل هذا ، عرفنا كيف استطاع أعداؤنا أن يستغلوها فى تنفيذ مؤامراتهم التى عقدوا شباكها فى مؤتمراتهم التبشيرية ، والتى تهدف إلى القضاء على الاسلام بنشر المدنية الغربية « وتحرير » المرأة بالسفور والاختلاط بالرجال ، وتقييد الطلاق وتعدد الزوجات .

فمن هى الأميرة نازلى فاضل ؟

هى من أميرات البيت المالك فى ذلك الحين ، ومع ذلك كانت حربا على البيت المالك ، وهى أول من فتحت صالونها على مصراعيه فى غير حياء أو أدب إسلامى ، تستقبل أدباء وساسة مصر .. والمرأة المسلمة التى يهون عليها أثمن شىء يجب أن تعتز به ، وهو حياؤها الإسلامى ، وأدبها الحجابى ، تهون عليها كل المعانى السامية المقدسة بما فيها الوطنية .

فلقد وثقت نازلى فاضل روابط ودها ، بممثل الاستعمار الانجليزى فى مصر ، والطاغية البغيض الحقير ، اللورد كرومر .. بل لقد ذهبت إلى أكثر من هذا ، فكانت تحرض أدباء وساسة مصر ضد السلطة الشرعية فى البلاد الممثلة فى شخص الخديو ، وكانت تكافئهم على محاربتهم لقصر عابدين ، بالترقيات والمكافآت التى تنالها لهم من قصر الدوبارة على يد كرومر !

بذور جمال الدين الأفغانى :

والظاهر أن جمال الدين الأفغانى (١) كان أول من ألقى بذور دعوة السفور .. وقد ذكر الأستاذ أحمد أمين بك فى كتابه « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » كيف كان جمال الدين يدعو إلى السفور ، وكيف كان يعرض فى مجلسه للحديث عن الرجل والمرأة ، والسفور والحجاب ، فيطيل القول فى ذلك ، وخلاصة رأيه أن المرأة فى تكوينها العقلى تساوى الرجل ، فليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس ، ولو أن رسول الله ﷺ قال « النساء ناقصات عقل ودين » ! « وعندى ألا مانع من السفور إذا لم يتخذ مطية للفجور » ولو أن الحجاب قد فرض لتطهير القلوب . .

---

(١) للمؤلف رأى خاص فى جمال الدين الأفغانى ، سيصدر به رسالة مستقلة بإذن الله .

حتى قلوب أطهر نساء الأرض ، نساء الرسول ﷺ وأمهات المؤمنين ، وأطهر رجال العالمين وهم الصحابة رضوان الله عليهم ، الهداة المهتدون ، قال تعالى « وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن »

فكيف ومتى لا يكون السفور مطية للفجور ، وما فرض الحجاب إلا لتطهير القلوب ، ودرء المفاسد كما ذكرت الآية الكريمة ؟

لم يكن من المستطاع أن يصرح جمال الدين بأكثر من ذلك ، إذ كانت تنقصه الجرأة والشجاعة ، عن أن يجابه الرأى العام بما جابهه به تلاميذه ، فاكتفى جمال الدين بأن يشير هذه الإشارة البسيطة فى وسطه الخاص المحدود ، ولو كان موجودا فى عصر من عصور تلاميذه ، لقال أكثر مما قالوا .

وإذا أردنا أن نعرف السر فى إقدام جمال الدين على الدعوة للسفور ، وجدناه كامنا فى صلته الوطيدة بالأميرة نازلى فاضل ، التى سبق ذكرها والتى تعد بحق بطلة المؤامرة على البيت المسلم . . وهكذا يصدق ما ذكرته للقارىء تحت عنوان « الفقهاء المزيفون » ، فقد أفتى جمال الدين ، ومن بعده محمد عبده بالسفور والاختلاط ليستر اموقفهما من نازلى فاضل وغيرها

كان جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده يختلطان بالأميرة نازلى فاضل ، حتى أنه كان يسميها « تمثال الجمال » . فقد كتب جمال الدين يوما إلى محمد عبده من الآستانه يقول : « الرسالة ما وصلت ، ولا بينت لنا موضوعها ، وأما تمثال الكمال والجمال ، حضرة البرنسيس التى لها من قلبى المنزل الأسنى ، والمقام الأسنى ، فلا أعلم من أمرها شيئا ، لا لها ولا عليها ولا سمعت »

ويقول رشيد رضا تعليقا على هذا الكتاب « يعنى بالبرنسيس الأميرة نازلى هانم ، وقد سأله الأستاذ عنها إذ كانت فى الآستانة وكان السيد جمال الدين يريد أن يطلب لها من السلطان وسام الشفقة المرصع »(١)

وكتب عبد الحميد حمدى صاحب مجلة السفور « كان السيد جمال الدين شرقى العاطفة ، يرى الشرق كله وطنه ويعمل لتحريره من قيود الاستبداد بما تصل إليه همته من جهد . كان يعشق الحرية فى جميع مظاهرها ، ويعمل لغرسها فى نفوس أبناء الأمم الشرقية . فلما قدم إلى مصر . التف حوله جماعة من أذكياء الشباب الذين منحتهم الطبيعة عقولا مفكرة غير جامدة أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم اللقانى وابراهيم الهلباوى وكثيرين غيرهم . حتى بعد نفيه من مصر ، وإقامته فى الآستانة . كان يختلف إليه فى أواخر أيامه جماعة من أذكياء الشباب وأفاضلهم أمثال الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا .

« كان السيد جمال الدين كما قلنا شديد الشغف بالحرية فى جميع مظاهرها وكان دون شك يميل إلى تحرير المرأة ، وكان يوجه أنظار تلاميذه إلى هذه الناحية بطريقة غير مباشرة . وحدثنا الهلباوى بك بأنه كان جالسا ذات مرة مع السيد جمال الدين وإبراهيم اللقانى ، فمرت عن بعد سيدة إنجليزية ممتطية جوادا . فلما لمحها السيد ، خاطب اللقانى بك دون أن يلتفت إلى ناحية السيدة ، فسأله : ما خير ما تتمنى يا لقانى ؟ فأجابه ، أن تكون لى زوج كهذه ، فأبدى السيد علامة استحسان ! !

« من هذه الحكاية على بساطتها ، يدرك الإنسان أن السيد جمال الدين كان يميل إلى تحرير المرأة ، وكان يوحى بهذا الميل إلى تلاميذه » انتهى كلام عبد الحميد حمدى .

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام تأليف رشيد رضا صفحة ٨٩٧ .

إذن نخرج من كل هذا بأنه كان لجمال الدين يد فى الدعوة إلى السفور فكان يختلط فعلا بالبرنسيسة الوحيدة التى كانت تقابل الرجال وتجالسهم ، وكان يصفها بأنها تمثال الجمال ، وكان يسعى للحصول لها على وسام الشفقة، هذا فوق أنه كان يرى صراحة أن لا مانع من السفور ، وأن عقل المرأة ليس نصف عقل الرجل ، ومع ملاحظة ظاهرة عجيبة ، وهى أن جميع أبطال مؤامرة السفور والاختلاط كانوا من تلاميذه ! ؟

غضبة على الاسلام لإرضاء امرأة !!

ولقد أتم تلاميذ جمال الدين بقية فصول المؤامرة ، بمعاونة الأميرة نازلى فاضل ، التى كانت تفيض عليهم بالتوصيات لدى كرومر بقصر الدوباره .. فظهر كتاب « تحرير المرأة » الذى حرض على تأليفه ووضع أصوله الفقيه الشيخ محمد عبده المعروف بعدائه للحركة الوطنية ، ومحاربته للمرحوم مصطفى كامل باشا بكل الوسائل ، وبصداقته الوطيدة للورد كرومر

يقول داود بركات فى جريدة الأهرام (١) :

« كانت الأميرة نازلى فاضل بنت الأمير فاضل الملقب بأبى الأحرار فى تركيا ، وزوج خليل شريف باشا سفير تركيا بباريس قد عادت إلى مصر بعد الاحتلال ، فوثقت روابط ودها مع اللورد كرومر ، وفتحت ناديها لطائفة من نوابغ الأمة ، كالشيخ محمد عبده وسعد زغلول واللقانى ومحمد بيرم وقاسم أمين ، وكانت تؤيد هؤلاء فى قصر عابدين ، وتسعى لترقيتهم ، وهم يعتمدون عليها فى كل أمر ، فألف الكونت دارکور کتابا حمل فيه على نساء مصر ، فتصدى له قاسم أمين ، ورد عليه مبينا فضائل

(١) الأهرام العدد الخاص عن تطور مصر فى ٧٥ سنة من ١٨٧٦-١٩٥١ ص ٩٨ .

المرأة المصرية وجلالة تقاليدها ، واستنكر خطة بعض السيدات المصريات اللاتى يتشبهن بالأوربيات ، فاقتنص الخصوم الفرصة ليوقعوا بين تلك الطائفة من نوابغ الأمة ، وبين الأميرة ، وأخذوا يكتبون فى إحدى الصحف ضدهم ، فلما كانت ذات ليلة ، والشيخ محمد عبده فى دار الأميرة قال لها أحدهم : إن قاسم أمين الذى يؤيده إخوانه يعنيها هى وحدها يذم المصريات اللاتى يقلدن الافرنجيات ، ويسرن سيرتهن ، لأنها المصرية الوحيدة التى تقابل الرجال وتجالسهم فى ناديها ، فغضبت الأميرة واحتدم غضبها وقالت للشيخ محمد عبده قولا شديدا كان من نتيجته أن وجه قاسم أمين لتصحيح خطئه بكتاب ينشره ، حتى لا يفقدوا تعضيد الأميرة .. وهكذا تجحت عن الفصل الصغير النتيجة الكبرى ، حيث أخرج مؤلفه « تحرير المرأة ... »

وهكذا باع محمد عبده دينه فى سبيل امرأة ، بل فى سبيل مصلحته الخاصة ، فقام يعلن الحرب على آداب الإسلام ، يستتر وراء قاسم أمين ، ويتأول الفقه لتبرير موقفه ، بدلا من أن يوضحه .. فقدم لنا فقهاً مزيفاً . إن نازلى فاضل امرأة مربية . . فالشخص الذى يقف بجوار المستعمر ، ويجهر بخصومته لولى الأمر الوطنى ، شخص مأجور ، وما يصدر عنه من عمل مريب ، إنما يصدر بعد اتفاق وترتيب مع أعداء الوطن .. وإن الشخص الذى يثق فى إيمان وإخلاص وطهارة امرأة خرجت عن طاعة ربها ، ووقفت بجوار عدو دينها ووطنها ، شخص غبى ساذج أحمق .

وعلى هذا الأساس ، أستطيع أن أقرر أن نازلى فاضل لم تجهر بتفرنجها إلا بناء على توجيه المستعمر .. ولم تجمع حولها رجالا وجيهم ضد ولى الأمر الشرعى للبلاد إلا بناء على توجيه المستعمر .. ولم تدفع هؤلاء الرجال إلى

الدعوة للسفور والاختلاط والإباحية والفجور إلا بنـــاء على توجيه المستعمر أيضا .

اللورد كرومر والأستاذ الإمام

قد يأخذ علينا البعض أننا نحمل على بعض أعلام مصر ، ومن بينهم الشيخ محمد عبده ، ثم قد يقولون . . مالكم تذكرون ســقطاتهم ، ولا تذكرون حسناتهم ! ؟

وأحب أن أقول لهؤلاء النـــاقدين : « إن كل حسنة لهؤلاء الأعلام الذين تتحدثون عنهم - لو كانت لهم حسنات - لاقيمة لها عندنا ، بعد أن يقدم هؤلاء الأعـــلام ، على أن يضعوا أيديهم فى أيدى المستعمرين .. يصادقونهم ويوالونهم ويوادونهم ! كيف نثق بأناس أعلنوا الحرب على الوطنية الصادقة . وحاربوا الحـــاكم الشرعى للبلاد ، بينما وقفوا بجوار المستعمر يوالونه ويؤيدونه ويوادونه ؟ أليس هذا هو النفاق الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه الكريم فقال « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة . فإن العزة لله جميعا » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » وقال سبحانه « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

ومن العجيب أن الذين يدافعون عن محمد عبده ، يسلمون معنا أنه كان صديقا حميما لكرومر ، لكنهم يقولون أن هذه الصـــداقة كانت صداقة ظاهرية فقط ، ليستطيع الوصول إلى مايريد من إصلاحات !! وبالطبع

لا أستطيع أن أقبل مثل هذا المنطق الذى لا يستقيم مع المصلحة الوطنية كيف نستطيع أن نعرف الوطنيين من الخائنين ، والمخلصين من المنافقين ، إذا تركنا الحقائق الظاهرة أمامنا ؟ وما هى الوسيلة التى نستطيع بها أن نعرف خفايا القلوب وطوايا النفوس ؟

وأحب أن أقرر لهؤلاء المعترضين علينا أنه إذا فرضنا جدلا ، وقبلنا مثل هذا المنطق العجيب فى شأن أى رجل سياسى ، فلا يمكن أن نقبله بالنسبة للعالم ، فالعالم الذى يخشى أن يقاوم المستعمر وأن يقول لهم «اخرجوا من بلادنا» ثم لا يكتفى بهذا الموقف السلبى ؛ بل يذهب ويقف بجوارهم صديقا ومرشدا ، عالم جبان ، والعالم الذى تنقصه الجرأة والشجاعة ، لا يصح للناس أن يثقوا به . أو أن يطمئنوا إليه ، أو أن يتخذوه علما من الأعلام ، أو إماما من الأئمة المصلحين

والشيخ محمد عبده من هذا الصنف من « العلمـــاء » أقحموه فى قائمة الأئمة ، رغم صداقته لكرومر ، ورغم محاربته للحركة الوطنية الصادقة ، الممثلة فى المرحوم مصطفى باشا كامل ، ورغم أنه بطل من أبطال المؤامرات التى دبرت ضد الأسرة المسلمة .

وعلى فرض أن محمد عبده كان يمالىء الغـــاصب ليتمكن من إدخال الإصلاحات إلى الأزهر كما يدعون .

فما هى هذه الاصلاحات ؟ أهى هذه الاصلاحات التى وصلت بالأزهر إلى ما وصلت إليه من تحلل وميوعة وتخنث وجبن ومادية ونفاق ؟ فإذا كانت هذه هى الاصلاحات ، ألا تبا لهذه الاصلاحات ولصاحبهـــا وللمدافعين عنها .

كان محمد عبده مدرسا للتاريخ فى دار العلوم ، وكان يكتب فى الصحافة لنشر آرائه التى ورثها عن أستاذه جمال الدين .

ولما حصلت الحركة الانقلابية المعروفة فى تاريخ مصر الحديث ، بتدبير الدول الأجنبية ، وانتهت بتنازل الخديو إسماعيل عن عرشه إلى الخديو توفيق ، وتولى رياض باشا رياسة النظارة ، عين محمد عبده رئيساً لتحرير « الوقائع المصرية » فضم محمد عبـــده إلى أعوانه الذين يثق بهم كسعد زغلول والشيخ محمد خليل والسيد وفا ؟ وظل يقوم بهذا العمل ١٨ شهرا ، كانت الوقائع المصرية تؤيد خلالها رياض باشا وتمدحه ! رياض باشا هذا الذى لقبه الناس ـ لفرط استعماريته ـ (رياضستون) حتى أن الخديو توفيق غضب لتهاون رياض باشا المفرط مع الانجليز والفرنسيين فما كان من رياض باشـــا إلا أن قابل هو وأعوانه هذا الغضب بتجريح الخديو ومهاجمته ، وكان ممن هاجم الخديو الشيخ محمد عبده .

ولما أن نفى جمال الدين إلى الآستانة ، ظل محمد عبده بجوار رياض باشا ، حتى تم إشعال الثورة ووقف من الثورة العرابية كالرجل ذى الوجهين وجه يمالىء رياض باشا وسياسته ، ووجه يقابل به عرابى بشا وعناصر الثورة ، فينفخ فى كيرها وهو عنها بعيد !!

ومن العجيب أن يدلل بعض الناس على وطنية الشيخ محمد عبده ، بأن القوه البريطانية قد نفته ضمن من نفتهم من رجال الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ . ولكن هذا النفى فى اعتقادى كان نفيا صوريا يقصد به الانجليز ـ كعادتهم ـ إبراز شخصيات صنائعهم العاملين بسياستهم ، فقد عرف الشيخ محمد عبده بمناوأته للحركات الوطنية ، وبتأييده لرياض باشا ، وما كان هذا النفى الا فرصة له للاتصال بجمال الدين الأفغانى وإصدارهما معا مجلة العروة الوثقى ، وقد تمت عودته إلى مصر بسعى الأميرة نازلى التى رجت اللورد كرومر فى ذلك . وقد كتب اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة »

(إن العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطانى)

ولما عاد محمد عبده إلى مصر ، أعطاه صديقه المستر بلنت قطعة أرض من ملكه فى عين شمس ليكون له جارا ، ومنذ ذلك الحين توطدت أواصر الصداقة بين الشيخ وبين كرومر ، حتى أن الشيخ صار المرشد الأمين لكرومر ، وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد أمين بك : « فساعده اللورد كرومر ، ورفع من قدره ، فعينه فى مناصب القضاء الأهلى فى محكمة بنها ثم الزقازيق ثم عابدين ثم عين مستشارا فى محكمة الاستئناف »

وهو منصب ما كان يصله إلا المتخرجون فى المدارس المدنية !! ولما وجد نفسه فى هذا الوسط تعلم الفرنسية ثم عمل على زيادة معلوماته منها بسفره إلى سويسرا وفرنسا . وكان الشيخ يريد أن يجمع بين مشيخة الأزهر والإفتاء ، ولكن الخديو لم يوافق على هذا ، كما أن كرومر رأى أن الوقت لم يحن بعد ، وأخذت الأمور تتحرج بين الخديو والشيخ حتى هم بعزله من الافتاء ، ولكن اللورد كرومر صرح بأنه « لا يوافق على عزله من منصب الإفتاء مهما كانت الأحوال مادام موجودا »

وفى سنة ١٩٠٤ حينما وقع الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا ، على أن تطلق إنجلترا يدها فى مصر ، مقابل أن تترك فرنسا تطلق يدها فى مراكش ، ثار المراكشيون وقاموا يقاومون الاستعمار الفرنسى .

فاتفق اللورد كرومر مع محمد عبده على أن يسافر سرا إلى هناك ليهدىء النفوس الثائرة باسم الاسلام !! وطلب إليه كرومر بعدم الافضاء بهذا السر ! !

ولكن محمد عبده أفضى بهذا السر إلى صديقه الحميم سعد زغلول ، فذهب سعد إلى كرومر ، فهنأه على حسن الاختيار ، فغضب كرومر من

محمد عبده لإنضمامه بالسر إلى سعد زغلول . وخرج محمد عبده من لدى كرومر محموما ، وذهب إلى الاسكندرية مريضا ، ولزم الفراش حتى هلك

ووصلت صداقة محمد عبده بكرومر ، إلى أنه استعدى هذا الأخير ضد الخديو . فلما كانت العلاقة بين الخديو ومحمد عبده متوترة ، أنعم الخديو بخلعة على الشربيني ، شيخ الاسلام ، وألقى خطبة نال منها من الشيخ محمد عبده بالاشارة فقط . وقد غضب محمد عبده من خطبة الخديو ، فذهب إلى كرومر مستعديا . وقيل أنه كتب له أبياتا من الشعر جاء فيها :

قصر الدوبارة ما للبيك رابضا والذئب فى بيت الإماره يحجل
إنى سمعت بعابدين عواءه فعجبت كيف يسود من لا يعقل

وبقدر ما كانت صداقة محمد عبده للورد كرومر كبيرة ، كان بغض محمد عبده للمرحوم مصطفى كامل باشا . وكأن محمد عبده كان يؤيد اللورد كرومر فى عدائه للزعيم المخلص !!

وإن القارىء لكتاب رشيد رضا تقع عيناه فى أكثر من صفحة على الأوصاف التى كان يخلعها الشيخ على الزعيم المخلص ، فتارة يصفه بأنه مجنون ، وتارة بأنه متهور ، ومرة بأنه مهووس ، وكان يطلق الساقطة على اللواء التى كانت تفيض بالوطنية والاخلاص ، والتى كان يصدرها المرحوم مصطفى كامل باشا .

يقول رشيد رضا : « وكان مصطفى باشا كامل يريد الاتفاق مع الأستاذ الإمام والعمل معه أو برأيه لمصر والاسلام ، ولكن الأستاذ ورجاله لم يكونوا يقيمون له وزنا لإثارته وإعجابه ، وكونه مسخرا للخديو بالمال ، وكان سعد باشا زغلول يقول إنه مجنون . وأما الاستاذ الإمام فقال فى وصف مقالاته إنها مجموع نوبات عصبية ، بعضها شديد وبعضها

خفيف» (١) .

ولما هلك الشيخ محمد عبده بعد أن أصيب بمرض السرطان نعاه كرومر بقوله « لقد فقدنا رجلا كان يرشدنا فى الدين وفى السياسة ، ونرجو من تلامذته أن لا تخور عزائمهم بموته » وكذا !!

محمد عبده يهدم الأسرة المسلمة :

إن جميع دعاة هدم الأسرة المسلمة ، يستندون فى دعواتهم إلى أقوال الشيخ محمد عبده .. تتحدث درية شفيق وغيرها عن أن الاسلام يبيح السفور والاختلاط ، وتستند فى دعواها إلى محمد عبده . . ويفتى علام نصار بأن الاسلام لا ينظر بعين الرضا إلى تعدد الزوجات ، ويستند فى قوله إلى رأى محمد عبده .. وينادى بعض الجهلاء إلى تقييد الطلاق و تعدد الزوجات ، ويدعمون هذا الجهل بآراء محمد عبده التى ترجمها عنه قاسم أمين فى كتابى تحرير المرأة والمرأة الجديدة !!

وإذن فيجب أن يعرف القارىء الدور الذى لعبه هذا الإمام الكرومرى فى إحلال هذه النكبة الكبرى بالأقطار الاسلامية .

كانت للأميرة نازلى فاضل كما قلت ، ندوة ليلية ينشاها اللورد كرومر ومحمد عبده وسعد زغلول ، وكان محمد عبده يعيب على الأميرة اهتمامها الزائد بالسياسة ، ويرجو أن توجه عنايتها إلى النهضة النسائية ، وقد كان لهذه الأميرة بمساعدة اللورد كرومر فضل كبير على الشيخ محمد عبده فى عفو الخديو توفيق عنه .

يقول رشيد رضا فى كتابه : (ذهبت معه إلى مأتم الأمير عثمان باشا

(١) تاريخ الأستاذ الامام الجزء الأول صفحة ٥٩٣ .

فاضل شقيق الأميرة نازلى هانم ، وكنا بداره فى الناصرية ، وقد ذكر لى قبل الخروج منها شيئا عن حال هذه الأميرة وأنها تعرفه وتجله ، وقد عنيت عقب عودته من سوريا بعد انتهاء مدة النفى بالسعى لدى الخديو توفيق باشا للعفو عنه ، وكلمت فى ذلك لورد كرومر ، وهو كلم رياض باشا ، ولكنها مولعة بالسياسة ، وطالما خطأتها فى الاشتغال بها ، وكان يسوءها هذا منى لأن النساء — يحببن الطاعة وعدم المعارضة لهن فى آرائهن ، وأنا لا أجاريها فى أحاديثها السياسية فتغضب ، وإذا حضر مجلسها غيرى وتكلمت معه ، لا ترضى أن أكون ساكتا ، وأنا لا أحب أن أجاريها فى شىء أعتقد خطأها به . وقد قلت لها يوما : إن سكت لا أرضيك (أى لانى أعارض) فكيف العمل » (١)

وقد كان محمد عبده يلتقى بالأميرة فى باريس التى حج إليها مرارا بالرغم من أنه لم يحج إلى بيت الله مرة واحدة ! وقد التقطت صورة له معها ومع بعض

النساء فى باريس ، نشرتها مجلة الاثنين بعددها الصادر فى ٨ شعبان سنة ١٣٦٤ الموافق ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ .

وكان قاسم أمين صديقا وفيا للشيخ محمد عبده ، فاستغل الشيخ هذه الصداقة ليسخر قاسم أمين للدعوة إلى السفور والاختلاط وتحطيم الحجاب على النحو الذى سبق بيانه .

وقد كتب قاسم أمين كتابه الأول عن تحرير المرأة « تحت إشراف الشيخ محمد عبده » وفى ذلك تقول درية شفيق فى كتابها « تطور النهضة النسائية فى مصر » : وقد وجدت آراء قاسم أمين تأييدا تاما عند الشيخ محمد

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام الجزء الأول صفحة ٨٩٤ .

عبده ، وحدث فى سنة ١٨٩٧ أن اجتمع الأستاذ الإمام وسعد باشا زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين فى جنيف ، وأخذ الأخير يتلو على الإمام بعض فصول كتابه عن تحرير المرأة ، فكان يوافق على ما فيها ، وقيل إن بعض فقرات هذا الكتاب تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه »

ولقد أشار على الجارم بك إلى ذلك فى رثائه قاسم أمين ، مبينا كيف أنه ناصر الإمام محمد عبـــده :

كنت فى الحق «للامام» نصيرا والوفى الصفى من أصحابه .

ويروى رشيد رضا فى صفحة ٧٧٠ من كتابه ، أن الشيخ كان يعطى درسا فى الرواق العباسى ، فدخلت بنت لعل سنها لا تقل عن اثنتى عشرة فتخطت الرقاب حتى وصلت إلى والدها ، فأسرت إليه كلمة وخرجت ، وقد كثر التفات الناس إليها استغرابا لجرأتها ، وسكت الأستاذ هنيهة ، ثم قال باللغة البلدية « إياك تكون دى المرأة الجديدة اللى بيقولوا عنها » يعنى لعل هذه هى المرأة الجديدة التى يتحدث عنها الناس ويكتبون فى الصحف وغيرها عن وجوب سفورها واختلاطها بالرجال بمناسبة الكتاب الذى ألفه قاسم بك أمين بهذا الاسم »

لم يكن محمد عبده ليجرؤ على الدعوة إلى السفور والإختلاط صراحة ، ولهذا كان يستغل غيره ، وعليه تقع المسئولية . فإذا لم نأخذ بكل ما أوردته من قرائن ، فبماذا نستطيع أن نفسر سكوته — وهو عالم ومفتى الديار المصرية — عن تلك الدعوة العجيبة ؟ ؟ ألا يعتبر سكوته رضاء على تلك الحركة ، ولا سيما أنه كان أستاذاً لقاسم أمين ؟ وهل كان من اليسير على قاسم أمين أن يعرف التأويلات الفقهيه التى أوردها للدعوة للسفور والاختلاط بدون معاونة عالم له ، ولا سيما أنه هو الذى وقف يناضل

من قبل مدافعا عن الحجاب .

ونضيف إلى كل هذا صداقة محمد عبده لسعد زغلول المنفذ الفعلى لدعوة قاسم أمين ، وعداء الشيخ للمرحوم مصطفى كامل الذى حارب الدعوة إلى تحرير المرأة .

داعية الإباحية والفجور .

إذا كانت نازلى فاضل هى المحرضة أصلا للدعوة إلى السفور ، وكان محمد عبده هو الموجه الفعلى لهذه الدعوه الآثمة ، فإن الذى حمل إسمها هو قاسم أمين ، كما سبق أن بينت .

لم يبال قاسم أمين ، أن يتنكر لكل ماذكره من دفاع عن الحجاب وعن المرأة المسلمة فى رده على الدوق داركور ، فتقدم يعتذر للخـــارجة على آداب الإسلام ، ويعمل على إرضائها ، ولم يبال فى سبيل ذلك أن تمتهن كرامته ، وأن ينقض نفسه بنفسه ، وأن يناله غضب من الله .

وكل ما أراده المبشرون وأعداء الاسلام ، دعا إليه قاسم أمين . دعا إلى السفور والاختلاط . . دعا إلى تقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات ، بل أخذ يقلل من قيمة العفة ، ويهون من خطورة ارتكاب الفاحشة ، ويحمل على السلف الصالح ، ويغمز آيات الله وسنة الرسول . . وبمعنى آخر كان يدعو إلى المدنية الغربية التى سعى لنشرها أعداء الدين والوطن

سمعت مرارا بعض الناس يقولون : « إن قاسم أمين لم يكن يدعو إلى أن تكون المرأة على ما نشاهدها عليه اليوم » ولكن هذا القول خاطىء ، لأن قاسم أمين لم يتخذ دعوته إلى السفور والاختلاط إلا ستاراً لدعوة أخرى أشد منها خطرا . وأعظم فتكا وتدميرا . . تلكم هى الدعوة إلى

الفجور والبغاء الأمرين الملازمين للسفور والاختلاط .

وهل هناك دليل على أنه كان داعية إباحية وفجور وبغاء ، أكثر مما جاء فى كتابه « تحرير المرأة » حيث قال مهونا من أمر العفة :

« والحق إننا غالينا فى اعتبار صفة العفة فى النساء ، وفى الحرص عليها وفى ابتداع الوسائل لحفظ ما ظهر منها ، حتى جعلنا كل شىء فداءها ، وطلبنا أن يتضاءل ويضمحل كل خلق وكل مكمة دونها ، ولكن العفة لا تغنى شيئا عن بقية الصفات . من كمال العقل وحسن التدبير ، والخبرة بتربية الأولاد ، وحفظ نظام المعيشة فى البيت ، بل نقول : إن فقدان المرأة لحصة من هذه الخصال ، لا ينقص فى ضرره ، وفى الحط من شأنها عن فقدان العفة نفسها (١) » .

وهكذا ينظر هذا المنافق إلى العفة نفس النظرة المادية التى ينظرها الرجل الغربى ، فهو يساوى بين عفة المرأة وحسن تدبيرها !! وشتان بين الأمرين ، فالعفة إذا فقدت أو انتهكت لا يمكن تعويضها ، أما حسن التدبير وغيره من الصفات ، فمن الهين الحصول عليه بالمران والتعليم . . وما معنى قول هذا الفاسق . هل كان فى عصره من لا تحسن تدبير شئون البيت حتى يقول مثل هذا !؟

ومن التى ربته هو نفسه حتى صار قاضيا ومستشارا ، أليست هى أمه ، التى تمكنت مع حفظ عفتها وشرفها وحجابها ، من أن تربيه وتدبر شئونه ؟؟

ولم يقف هذا الفاسق عند هذا الحد ، بل أخذ يقلل من خطورة الفاحشة فقال :

« إننا نشعر بأنواع الجرائم ترتكب من حولنا ، فالقتل والنهب

---

(١) تحرير المرأة صفحة ٨٩ .

والنصب والتزوير والقذف وغيرها من الجرائم تزعج الساكن وتقلق المطمئن ، ومع ذلك فإنا نحتمل مصائبها ، ونسلم لحكم القدر فيها ، فلم لا يكون ارتكاب الفحش من المرأة جريمة من هذه الجرائم التى لا يخلو منها مجتمع إسلامى ، ولما نتخيل أنها أشنع وأفظع من سواها حتى اتخذنا لمنعها مالم نتخذه لمنع غيرها ؟ (١) »

وهكذا أسفر هذا الإباحى عن غايته ، وطالب النـــاس بألا يهتموا كثيراً بصيانة الأعراض ، فيجب على الناس أن يعتبروا فقد الشرف والعفة مسألة بسيطة تساوى تماما فقد ساعة أو حافظة نقود !!

ظهر كتاب تحرير المرأة محتويا هذه الآراء الفاسدة القذرة المريبة ، فتلقفه أنصـــار الاستعمار بالفرح والترحيب . ولكن وقف له بالمرصاد المشتغلون بالحركة الوطنية الصادقة المجردة عن الأهواء ، فحاربه المرحوم مصطفى كامل باشا فوق صفحات « اللواء » والمرحوم طلعت حرب باشا وكثيرون غيرهما من علماء أزهر ذاك الزمان رحمه الله .

مستر متشل وأصحاب المصلحة فى الاحتلال (٢)

ولقد احتضن هذه الدعوة الآثمة « الحزب الاســـتعمارى المعروف بحزب الأمة . وهنا يجب أن نعرف شيئا عن هذا الحزب .

رأى الإنجليز أن مصطفى كامل باشا ـــ رحمه الله ـــ قد نجح فى دعوته الوطنية ضد الانجليز ، ورأى كرومر أن من الخطر على الإحتلال أن

---

(١) تحرير المرأة صفحة ٩١ .

(٢) جميع معلومات هذا الفصل نقلناها عن مقال إلى « رجل الساعة » للأستاذ أحمد ابراهيم السراوى نشره فى النذير العددان ٢١٤ ، ٢١٥

يترك مصطفى كامل يعمل وحده فى الميدان ، ولا سيما أنه يستغل الروح الإسلامية فى الضرب على أوتار قلوب المصريين .

إذاً . . ماذا يفعل الانجليز ؟ كيف يستطيعون أن يقضوا على الروح الوطنية ؟ ورأى القوم أنه لا بد لهم من تنفيذ مؤامرة محكمة ضد الروح الدينية والوطنية .. ولا يمكن تحقيق هذه المؤامرة إلا باستغلال صنائع من المصريين فى تحويل التيار الوطنى .. وعلى هؤلاء الصنائع أن يبثوا فى المصريين أن استقلال مصر لن يتحقق إلا إذا غيرنا أسباب الضعف ، وأخذنا بأسباب القوة .. وما أسباب الضعف إلا فى تمسكنا بالتقاليد البالية — فى نظرهم طبعا — كالحجاب ومنع اختلاط الجنسين وتطبيق آداب الاسلام .. أما أسباب القوة فهى الإقتداء بالغربيين ، فلننظر إليهم فلقد تغلبوا علينا وحكمونا ، وما سبب هذا إلا أن آدابهم وتقاليدهم هى التى جعلتهم أقوياء ، وإذن فعلينا أن نتمسك بآدابهم وتقاليدهم وعلومهم ، أو بمعنى آخر علينا أن نتمسك بالمدنية الغربية حتى نكون أقوياء ، ونحقق استقلالنا .

وكانت هذه المؤامرة ترمى إلى هدفين أولهما نشر المدنية الغربية ومحاربة الآداب الإسلامية العظيمة على النحو الذى سبق شرحه ، وثانيهما صرف الناس عن الكفاح الإيجابى السريع ضد المستعمر ، وإلقاء بذور اليأس والقنوط فى النفوس ، وغرس العقيدة بأن الأمم لا تنال استقلالها إلا بعد مضى فترة طويلة جدا ، تربى فيها الأجيال القادمة تربية خاصة ، وتعد الأمة إعدادا خاصا فى جميع النواحى الاقتصادية والسياسية والإجتماعية !!

هذه هى المؤامرة التى دبرها كرومر ، والتى قامت على أسس من المغالطة الواضحة ، حتى ينصرف الناس عن دعوة مصطفى كامل باشا .

فأوعز كرومر إلى المستر متشل مستشار الداخلية أن يجمع كل نصير للاحتلال من أغنياء مصر ، ممن يعتبرون أنفسهم أصحاب المصالح الحقيقية فى بقاء الاستعمار ، وكانوا يحاربون مصطفى كامل ويسفهون دعوته . ويحطون من أعماله ، وكانت المقطم — وهى لسان حال الاحتلال — تضع إمضاءاتهم فى أسفل المقالات التى تنشرها معارضة كل دعوة للاستقلال والحرية .

وبالفعل .. اجتمع مستر متشل مستشار نظارة الداخلية بمن أسموهم بأصحاب المصالح الحقيقية ، ففى إحدى حجرات نظارة الداخلية ، اجتمع أنصار الاحتلال : محمود سليمان ، ، وحسن عبد الرازق ، ولطفى السيد ، وغيرهم ممن على شاكلتهم .. ولم يغادروا النظارة إلا بعد أن ألفوا حزبهم الجديد ، حزب الأمة ، وأسسوا جريدة أسموها ، الجريدة ، وأتوا بلطفى السيد وجعلوه رئيسا لتحريرها .

وكان لا عمل لحزب الأمة — طبقا للخطة الموضوعة — إلا مناهضة الحركة الوطنية التى كان يقودها مصطفى كامل . والتى قامت على أسس قوية من الأخلاق العالية ، والآداب الفاضلة المستمدة من الدين الإسلامى الحنيف .

وإذا رجعنا إلى دار الكتب لنطالع المقالات التى كان ينشرها حزب الأمة على الناس ، وقفنا على مدى مؤامرات أعدائنا ضد الدين والوطن . لقد كانت مقالات لطفى السيد فى ، الجريدة ، مثيطة للهمم ، محطمة للعزائم ، داعية للاستسلام للاحتلال . . لقد كتب يوما مقالا عنوانه ، السلطة الشرعية والسلطة الفعلية ، أراد به أن يصرف الناس عن الالتفاف حول الخديو ، السلطة الشرعية ، وقد كان أمل البلاد فى

الخلاص من الغاصب وأن يلتفوا حول السلطة الفعلية ، وهى سلطة الاحتلال

بل لقد وصلت وقاحة ذلك المخلوق العجيب إلى أنه نشر خطبة المرحوم مصطفى كامل باشا سنة ١٩٠٧ المعروفة بخطبة زيزينيا . وهى خطبة الوداع الرائعة التى ألقاها الفقيد ، وحمل فيها حملة شديدة على الاستعمار وأعوانه . . نشر ذلك المخلوق العجيب هذه الخطبة فى جريدته تحت عنوان « ناقل الكفر ليس بكافر » .

ولم يكتف لطفى السيد بمحاربة الروح الوطنيـــة فى مصر ، بل عمل أيضا عملا يعتبره كل مسلم جريمة الخيانة العظمى للوطن الإسلامى . فقد حدث فى سنة ١٩١١ أن وقعت مأساة مؤلمة تسمى « مأســـاة طرابلس الغرب » ، فقد انقضت إيطاليا بلا سابق إنذار وبلا أية مناسبة على ميناء وعاصمة طرابلس ، فى الوقت الذى كان فيه حتى باشا الصدر الأعظم للدولة العثمانية فى حفة تكريمية أقامها له معتمد إيطاليا فى الآستانة !!

هب العالم الإسلامى كله يحتج على هذا العمل الوحشى ، وقامت مصر بتقديم كل معونة تستطيعها . فكتب المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش مقالا تاريخيـــا رائعا يحفز المصريين لمعاونة إخوانهم الطرابلسيين تحت عنوان « مدينة الدماء » ، وتطوع بعض المتعلمين من المصريين ، وسافروا فعلا إلى طرابلس .

وتألفت اللجان فى المديريات والأقاليم لجمع المال ، وكان يرأس اللجنة العليا المرحوم عمر طوسون رياسة فعلية . والأمير محمد على توفيق رياسة شرفية

فزع الانجليز من هذه الحماسة الإسلامية ، وقاموا إليها يقتلونهـــا ؛ فكتب لطفى السيد مقالا بعنوان « سياسة العواطف وسياسة المنافع » يرمى فيه بالخطأ كل من أظهر شعوره الكريم ، محاولا إطفاء هذه الروح

الإنسانية النبيلة ، ووضع المشاعر الإنسانية فى ثلاجات باردة ، لأن مساعدة المصريين للطرابلسيين لن تعود عليهم بمنفعة ما .. محرضا تماما على تغليب النظرة المادية البحتة !!

ولكن الرأى العام المصرى الذى بعثه مصطفى كامل ، قضى على حزب الأمة وعلى جريدته وعلى صوته ، ولولا ذلك ، لسممت تلك الدعوة الخبيثة عقول المصريين وقلوبهم .

ولكن الإنجليز والوا ضرباتهم ، فأخذوا يفسدون الأمة من ناحية الشهوات . وبدأوا يضربون بمطارقهم على الأخلاق .

ما حطمت بلد حصون خلاقها ... يوما وسارت فى طريق فخار
فالمجد يطرق باب شعب لم يدع ... سوس المجون يدب فى الأمصار

حزب الأمة والدعوة النسائية :

بدأ حزب الأمة ينظم فى ناديه اجتماعات نسائية ، فكان هذا الحزب الاستعمارى هو الحزب الوحيد الذى تجاسر لأول مرة فى وقاحة على الدعوة لمثل هذه الاجتماعات ، فكان أول اجتماع خطبت فيه خطيبة فى محفل نسوى .. لم يحضر داخله رجل ولا شاب كما يقولون ، ولكن ما حدث فى سراى البارودى بغيط العدة القريبة من ميدان باب الخلق ، وهى السراى التى اختارها حزب الأمة مقرا له ولصحيفته ، والتى ألقيت فيه أول خطبة نسائية - نقول إن ما حدث فى هذه السراى أثناء الخطبة النسائية من مغازلات ومحادثات من شبان ورجال فى أثناء الاجتماع ، وما تفرع عن هذه المحادثات والمغازلات من مخاز خليعة ، لا يستطيع القلم أن يشير إليها إلا إشارات لا تخفى على عقل القارىء اللبيب ، إبقاء على الحياء الإسلامى السامى .. ويكفى أن يعلم القارىء أن بضع فتيات قد خرجن من هذه الدار وهن ثيبات .

صحيفة السفور :

أدت هذه المقدمات التى خلقها لطفى السيد ، ووضع أسسها فى « الجريدة » إلى ظهور مجلة إبان الحرب العالمية الأولى تسمى « السفور » أشرف على إصدارها فريق من خريجى مدرسة لطفى السيد ، وكان صاحبها عبد الحميد حمدى ، وقد دعت هذه الوريقة فى صراحة لا تعرف الأدب ولا الحياء ، إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال ، ولكن تيقظ الرأى الإسلامى العام قبر تلك الدعوة الآثمة عاما تلو عام .

ولكن لم يلبث أن جاءت ظروف الحرب ، فأبعد القادة المخلصون عن ميدان الجهاد ، وظهر فى الأفق زعماء ، كل ما كان يعرف عنهم أنهم من خريجى حزب الأمة ، وارتدى الزعماء الجدد مسوح الوطنية ، وأوردوا الأمة موارد التهلكة ، بما أذاعوه من رجعيات أخرت تقدم البلاد أجيالا طويلة ، بل أعادتها إلى الوراء أجيالا وأجيالا .

سعد زغلول من أبطال المؤامرة :

وسعد زغلول أبو المدرسة السياسية الحديثة التى قامت تناهض مدرسة الوطنية الصادقة التى أسسها مصطفى كامل .. ولئن كان البعض لا يعرف عن سعد سوى التاريخ المقلوب الذى أظهره كزعيم مخلص ، إلا أن الكثيرين لا يجهلون عنه الحقائق المرة المؤلمة .

أجل ، إن الكثيرين لا يجهلون أن سعد الذى ظهر نجمه فجأة فى سماء الزعامة الوطنية كان من أنصار الاحتلال الظاهرين ، وأنه كان أحد المحتفلين بتكريم اللورد كرومر طاغية الاحتلال الأكبر ، حينما غادر

الديار المصرية ، كما يغادر الكابوس المؤلم الصدور التى جثم عليها ؛ ووقف كرومر يشكر المحتفلين ويثنى عليهم ، بعد أن سب مصر والمصريين سبابا قذرا ، ونال منهم ومن دينهم ، فقال كرومر يمدح سعد زغلول وزملاءه « لا عجب أن يولد أبناء العميان مبصرين »

أجل ، إن الكثيرين لا يجهلون أن سعدا كان أحد الأبناء البررة لحزب الأمة ، وأنه كان أحد المعارضين لجعل التعليم باللغة العربية بدلا من الانجليزية .. وأنه دافع فى ثلاث جلسات فى الجمعية العمومية طالبا مد امتياز قناة السويس . . وأنه .. وأنه . . إلى غير هذه الحقائق التى لا يتسع المجال لسردها فى هذه الرسالة الصغيرة (١)

والمهم أن سعد زغلول صاحب هذا التاريخ الطويل المعروف ، أقام سياسته « الوطنية » على أساس آخر غير أساس الدين الذى قامت عليه وطنية المرحوم مصطفى كامل باشا .. لقد قامت سياسة سعد زغلول على أساس « الدين لله والوطن للجميع » ففرق بين الدين والوطنية ، وفرق بين الدين والدولة ، وبمعنى آخر وضع من أهمية الدين بالنسبة للوطنية .

ورجل هذا شأنه لا يمكن أن يقيم للاداب الإسلامية أى حساب .. ألم يكن من المترددين على صالون نازلى فاضل ؟ ألم يكن سعد ضمن من تؤيدهم نازلى فاضل فى قصر الدوبارة ضد قصر عابدين ؟ ألم يكن صديقاً حميما لقاسم أمين ؟؟

---

(١) يمكن مراجعة التفاصيل فى مقالات « حقائق مقلوبة فى الحركة الوطنية » التى نشرها الأستاذ حسين يوسف فى جريدة النذير فى الأعداد من ١٥٣ إلى ١٥٦ ..

فكان سعد زغلول بطبيعته الاحتلالية المعادية للاسلام، من المناصرين للسفور والاختلاط ، واجترأ على استغلال ثقة الناس به ، لينفذ دعوة قاسم أمين التنفيذ العملى .

ولنستمع إلى إحدى الكاتبات ، وهى تسجل هذه الجريمة التى اقترفها سعد ، على أنها مفخرة من مفاخره

« فباسم سعد اجترأت المرأة المصرية على رفع صوتها ، وتحت لوائه سارت مواكب النساء فى الشوارع ، وهتفت بحيـــاة الوطن ، والحرية والاستقلال ، وفى ظل سطوته تلقى الجمهور اسم المرأة وهتافها ، وتعود أن يستمع لمطالبها فى تهيب واحترام ، ولولا ذلك لكان زاريا واجما ، وهل من عامل أقدر على تقدير المرأة من أن الزعيم العائد من المنفى تلك العودة الفخمة المنصورة . . يستهل خطابه فى فندق سميراميس شكرا على احتفاء عظماء قومه به فيقول : « سادتى وأرجو أن يبدأ خطابى فى محفل قريب بقول سيداتى وسادتى » فيقابل هذا الكلام بالتصفيق الحاد المتواصل . .

« وهل من عامل أقدر على الســـفور من أن يدخل الزعيم سرادق السيدات بعد عودته من المنفى ، فيأبى البقاء فيه إلا إذا أسفرت السيدات المجتمعات لاستقباله ، وسبقت يده لسانه فيما أراد ، فمد يده ضاحكا ورفع الحجـــاب عن أقرب السيدات إليه ، فكان ضحك وكان تصفيق وكان تهليل ، وأسفرت الحاضرات بعد ذلك التحجب . فكان ذلك اليوم عنوان تحرير المرأة ، وفهمنا منـــه قول قاسم أمين فى تقديم كتابه « المرأة الجديدة » إلى صديقه سعد زغلول :

(فيك وجدت قلبا يحب وعقلا يفتكر وإرادة تعمل . . أنت الذى مثلت إلى المودة فى أكمل أشكالها ، فأدركت أن الحياة ليست كلها شقاء .

وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها) (١)

ما أكرمك أيها الشعب المصرى ، وما أسرعك فى النسيان . . لقد نسيت ماضى سعد ، ولم يعد الناس يتذكرون عنه سوى أنه الزعيم المخلص الأمين الذى نفى فى سبيلهم ، فاستقبلوه استقبالا رائعا ، ولكنه استغل هذا الكرم ليدس لهم السم القاتل . . فاستهل عمله عقب منفاه بالإقدام على ارتكاب هذه الجريمة ، وكأنها كانت الرسالة المفروضة عليه ، والتى كانت تشغل باله فى منفاه ، ورأى من الواجب عليه أن يؤديها عقب عودته

أجل . . لم يكن يشغل باله أن يحض المصريين على مقاومة الانجليز ، فالإنجليز فى نظره كما قال « خصوم شرفاء » رغم ما ارتكبوه فى مصر من فظائع فى الاسكندرية والنل الكبير والقاهرة ودنشواى والعزيزية والشوبك

ولم يكن يشغل باله أن يحذر المصريين من أن يتخلوا عن مقوماتهم ، بل كانت مسألة المسائل فى نظره ، أن يصبح المصريون كالإنجليز فى عاداتهم وأخلاقهم !!

يا للعجب !! ما الذى جعل سعد يهتم هذا الاهتمام بسفور المرأة واختلاطها ؟ ألا تستطيع الأمة أن تقاوم الاحتلال إلا إذا خرجت المرأة إلى الميدان لتشيع الدنس فى أرواح المجاهدين ؟ ألا تستطيع الأمة أن تكافح إلا إذا تلاصقت النساء بالرجال فى المظاهرات والاحتفالات ؟ ألا يستطيع الشبان أن يجاهدوا إلا إذا أشبعوا أرواحهم وأجسادهم من الشهوات والنزوات ! ولماذا يهتم سعد زغلول بالدعوة السفورية فى الوقت

---

(١) عن مقال « هجع جبار الوادى » للكاتبة ص عن كتاب ذكرى سعد ص ٤٢

الذى كانت الحركة الوطنية التى يقودها مصطفى كامل باشا تقاوم هذه الدعوة!

هذه أسئلة لا يمكن الإجابة عليها ، إلا إذا ربطنا تاريخ سعد بعضه ببعض .. فعرفنا أنه ينفذ المؤامرة التى اشترك فى إعدادها فى صالون نازلى فاضل .. وفى حزب الأمة .

الرغبة البريطانية الرابعة :

لم تبق ناحية من نواحى الشئون المصرية حتى سنة ١٩٢٧ لم يضع الاستعمار فيها أصابعه إلا ناحية المناصب الدينية .

حقا لقد استطاع الإنجليز أن يتدخلوا فى تعيين الشيخ محمد عبده « الماسونى » (١) مفتيا للديار المصرية ، لكن تدخلهم لم يكن سافرا إلا حينما أراد الخديو عباس عزل الشيخ من منصبه ، فعارض كرومر هذه الإرادة معارضة شديدة !!

ولا شك أن من مصلحة الاستعمار أن يكون فى المناصب الدينية الكبيرة رجال عرفوا بصداقتهم للمستعمرين ، ولا سيما أن المصريين يحملون كل إجلال واحترام للعلماء .. ورأى المستعمرون أيضا أنه لكى يستطيعوا أن ينفذوا بقية مؤامراتهم ضد الأسرة المسلمة ، أن يضعوا فى مجالس العلم

---

(١) الماسونية - كما يقول الشيخ رشيد رضا فى كتاب « تاريخ الأستاذ الإمام » ص٩٣٦ - غايتها هدم جميع الأديان ، وجمال الدين الأفغانى أول من أدخلها فى الأزهر !! والماسونية فكرة يهودية الأصل ، ولكن الإنجليز احتضنوها وعملوا على نشرها فى مستعمراتهم ، ليستغلوها فى توطيد أقدام احتلالهم ، وسأتناول الحديث عن الماسونية بتفصيل فى رسالتى القادمة - إن شاء الله - عن جمال الدين الأفغانى .

أناساً يطمئنون إليهم وينفذون لهم رغباتهم .

لم يجرؤ عالم من علماء الأزهر حتى سنة ١٩٢٧ تقريباً على أن يفتى بالسفور والاختلاط ، وبجواز اشتغال المرأة بالقضاء واشتراكها فى المناصب العامة . . ولم يجرؤ عالم واحد أيضاً على أن يفتى بجواز تقييد الطلاق وتعدد الزوجات . .

ولكن الشيخ محمد مصطفى المراغى هو أول شيخ اجترأ على هذه الفتاوى ، بل اجترأ على أكثر من هذا . فقد تقدم بمشروعات قوانين تقييد الطلاق وتعدد الزوجات التى رفضها المغفور له الملك فؤاد .

وهنا يجدر بى أن أعرض شيئاً من تاريخ الشيخ المراغى ، حتى نعرف الظروف المريبة التى عين فيها هذا الشيخ ، والتى تقدم فيها بمشروعاته وماهى شخصيته فى ذلك الوقت

لقد أمضى الشيخ مصطفى المراغى مدة طويلة من حياته فى القضاء الشرعى فى السودان ، والموظفون المصريون فى السودان بحكم وظائفهم ، يختلطون بزملائهم البريطانيين هناك . وكثيراً ما تنشأ بين الجميع ألفة ومحبة ومودة من طبيعة الاغتراب

وقد كان الشيخ المراغى موظفاً مصرياً كبيراً فى السودان ، فكان طبيعياً أن تنشأ تلك الألفة وتلك المودة بينه وبين كبار الموظفين البريطانيين ومساعدتهم فى ذلك القطر الشقيق شأن باقى كبار المصريين الآخرين

وقد مهدت تلك الفترة الطويلة التى قضاها الشيخ المراغى قاضياً فى السودان فرصة له واسعة لكى يتعرف فيها عقلية هؤلاء الإنجليز ، ولكى يتفهم مشاربهم ومقدار تفكيرهم وحكمهم على الأشياء ، فلقد تصادقوا ، ولقد جلس وتناقش معهم ! فتبادلوا المودة وارتاح كل منهم للاخر ، وخصوصاً أن الشيخ قد اشتهر عندهم بسعة العقل والفكر عندما أفتى فى إبان الحرب العالمية الأولى - وكانت تركيا قد أعلنت الحرب وتتئذ على

بريطانيا - بأنه لا مانع من محاربة المسلم لأخيه المسلم ، فقد كانت هذه الفتوى من أسباب استقرار النظام حينئذ فى السودان .

وعندما نقل الشيخ المراغى من السودان لمصر لم تنقطع المودة والصداقة التى نشأت فى السودان ، بل استمرت هذه المحبة والمودة فى مصر أيضا ، وقد حكى وقتئذ الأستاذ محمد شفيق رئيس القسم العربى بدار المندوب السامى البريطانى فى مصر أن اللورد جورج لويد يعز فضيلة الشيخ المراغى رئيس المحكمة العليا الشرعية إعزازا خاصا ، فإنه لا يمضى أسبوع إلا ويكون فضيلة الشيخ مدعوا أو زائرا فى دار المندوب ، وكثيرا ما يتناولان الطعام معا ، ويتجاذبان أطراف الحديث فى شتى الشئون » (١)

وفى سنة ١٩٢٧ توفى المرحوم الشيخ أبو الفضل الجزاوى شيخ الجامع الأزهر ، وأراد الإنجليز أن ينتهزوا هذه الفرصة لكى يتدخلوا فى شئون الدين أيضا .. فتقدم اللورد جورج الويد المندوب السامى البريطانى إلى توفيق نسيم باشا رئيس ديوان الملك وطلب منه ترشيح الشيخ المراغى لمشيخة الأزهر (٢)

وكان النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الوقت يفكر فيمن يصلح لمشيخة الأزهر من العلماء ، وكانت الوزارة فى ذلك الوقت أيضا وزارة ائتلافية برئاسة النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصرى . وفى هذه الوزارة كان يمثل حزب الأحرار الدستوريين محمد محمود باشا وأحمد خشبة

---

(١) السياسة والأزهر للدكتور فخر الدين الأحمدى الظواهرى ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) السياسة والأزهر ص ٥٧

باشا ، وكلاهما من أبناء الصعيد الذين يعتزون بصعيديتهم .. وكانت تربطهما بالشيخ المراغي صداقة متينة . . فأشار على النحاس باشا باختيار الشيخ المراغى شيخا للأزهر .

وعندما قابل النحاس باشا جلالة الملك فؤاد للتحدث معه فى شأن ترشيح شيخ الأزهر الجديد ، حكى مصدر كبير فى القصر الملكى وقتئذ يصف هذا الحادث فقال إن جلالة الملك تلطف وأفهم النحاس باشا رئيس وزرائه أنه بطبيعته ملك دستورى ، وأن أظهر دليل على ذلك موافقته على القانون رقم ١٥ سنة ١٩٢٧ الذى يشرك معه الحكومة فى اختيار الرؤساء الدينيين بعد أن كان هذا الحق لجلالته وحده ، وأنه يرغب فى أن تتعاون معه الحكومة فى المحافظة على الدين الإسلامى ، وأن يكون هذا التعاون بإخلاص حقيق من أجل الإسلام وحده ومجردا عن أى غرض آخر

ثم أضاف جلالة الملك إلى هذا أنه يرى أن الصفات اللازمة لهذا المنصب متوافرة فى شيخ معين ذكره له ، فلما أخبر جلالة الملك رئيس وزرائه برغبته هذه ، أمن النحاس باشا على صلاحية هذا الشيخ ولكنه أضاف أنه يعرف شخصا آخر يصلح أيضا ، ورجا من جلالته الموافقة عليه ، وذكر لجلالته اسم الشيخ محمد مصطفى المراغى . . وهنا تجهم وجه جلالته ، فقد تبادر إلى ذهنه أن هناك تفاهما بين النحاس باشا وبين اللورد جورج لويد على هذا الترشيح .

وانقضى بعد ذلك على هذا الحديث زهاء العشرة شهور ، بقى فيها المنصب الدينى الكبير شاغرا . . ولما تساءل الناس عن السبب فى ذلك ، عرفوا أن هذا إجراء كريم من جانب الملك فؤاد أراد به إحباط

مجهودات اللورد لويد فى التدخل فى مسائل الدين الإسلامى

وبعد انقضاء هذه الفترة الطويلة ، عاد النحاس باشا فطلب من توفيق نسيم باشا أن يلتمس من جلالة الملك التفضل بإصدار أمره الملكى بتعيين الشيخ المراغى شيخا للأزهر ، فإنه يرغب فى إرضاء زميليه فى الوزارة من جهة ، ولأن القانون يبيح لرئيس الوزراء هذا الالتماس من جهة أخرى .. وفى هذه الأثناء عاود اللورد جورج لويد الرجاء لتوفيق نسيم باشا أيضا بترشيح الشيخ مصطفى المراغى .. ومراعاة لكل هذه الظروف صدر الأمر الملكى بتعيين الشيخ المراغى شيخا للأزهر (١)

وما إن تولى المراغى مشيخة الأزهر فى سنة ١٩٢٨ ، حتى سار بالأزهر فى اتجاهات جديدة ساءت المرحوم الملك فؤاد . . فقد صدقت فراسة الملك فى تخوفه من استغلال السياسة ورجال السياسة (٢) للدين ورجال الدين ، فإن هذا الاستغلال حصل فعلا عندما تدخلت الأحزاب والمندوب البريطانى فى اختيار شيخ الأزهر ، وعندما تألفت بالأزهر لجان للوفد وأخرى للأحرار الدستوريين ، انصرف الطلبة بالسياسة عن الدرس وعن التحصيل والتفقه فى الدين ، وهو ما جاء والى الأزهر خصيصا من أجله ، وشغلوا بالنقاش السياسى ، والتهريج السياسى والدعاية السياسية وهذا ليس من شأنهم وليس أيضا ما يريده جلالة الملك لطلاب الدين

---

(١) السياسة والأزهر ص ٥٨ ، ٥٩

(٢) المقصود السياسة الحزبية التى لا يقرها الاسلام ، أما السياسة بالمعنى العام فهى من صميم الاسلام .

وعلماء الدين (١)

وتقدم الشيخ المراغى بمشروعات قوانين قال عنها إنها مشروعات إصلاح . فتقدم بمشروع قانون إصلاح الأزهر، وكان ضمن مواده الاعتراف بالقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧ وهو القانون الذى يشرك مع الملك رئيس الوزارة فى سلطته على الأزهر والمعاهد الدينية . وتقدم بمشروعات قوانين جديدة ترمى إلى أن يسلب من الزوج المسلم حق

---

(١) وهنا يجب أن أشير إلى أن المرحوم الملك فؤاد كان يرى ان تعيين شيخ الأزهر يجب أن يكون من حقه وحده دون إشراك الوزارة ، حتى يحفظ لهذا المنصب الخطير مهابته واحترامه ، وحتى ينأى بالمشيخة عن تيارات الأهواء الحزبية . ولكنه تحت ضغط الظروف اضطر إلى الموافقة على القانون ١٥ سنة ١٩٢٧ الذى يشرك الوزارة فى تعيين شيخ الأزهر ، وكان المراغى من المؤيدين لهذا القانون .

ولا شك أن المرحوم الملك فؤاد كان بعيد النظر حينما أراد أن يحتفظ للملك وحده بحق تعيين شيخ الأزهر ، دون إشراك الوزارة .. فقد تدخلت الحكومة فى تعيين شيخ الأزهر ضعفت مهابته ومكانته فى نفوس الناس ، بل من نفسه هو . . صار يسعى إلى الوزراء ، ولا يسعون إليه ، ويحاول أن يقابل الوزير ، والوزير يرفض مقابلته ، بل ويصرح أحدهم فى حديث صحفى ، أنه يتمنى أن يتحدث مع رئيس الوزارة ثلث ساعة فقط ليحل مشاكل الأزهر !! بل وأصبحت الأهواء الحزبية وحدها هى التى تتصرف فى هذا المنصب الدينى الخطير .. بل إن إحدى الحكومات حاولت تبديل القانون لتخفف من الشروط العلمية التى يجب توافرها فى الشيخ الأكبر ، لتعين أحد أنصارها .. وإذا راجعنا تاريخ الأزهر من صدور القانون رقم ٥ سنة ١٩٢٧ نجد أن كل الأزمات التى مرت بها مشيخة الازهر أزمات حزبية .. مصطفى عبد الرازق . . مأمون الشناوى . . عبد المجيد سليم .. ابراهيم حمروش .. وما يستجد .

ولهذا أرى وجوب إلغاء القانون رقم ١٥ سنة ١٩٢٧ ، وعدم جعل حق تعيين شيخ الازهر فى يد الوزارة . ولكى نخرج من الاشكالات الدستورية ، أرى أن تقوم هيئة كبار العلماء باختيار الاستاذ الاكبر من بين أعضائها ، على ألا يقبل عضوا فى هيئة كبار العلماء إلا من توافق عليه هذه الهيئة .

الطلاق إلا بإذن من القاضى ، وأن يمنع من أن يتزوج بأكثر من واحدة إلا بإذن من القاضى أيضا ، وهذه المشروعات منقولة عن كتابى قاسم أمين .

ولكن الملك فؤاد - رحمه الله - كان غيورا على كرامة العلماء ، حريصا على تعاليم الله . . كان - رحمه الله - ملكا حجابيا ، مطبقا الحجاب الاسلامى على آل بيته ، ويروى أنه عرض عليه يوما مشروع قانون لترقيعه ، ولكنه رفض التصديق عليه ثلاثة أشهر ؛ وكان يقول لبعض خاصته : « إننى لست فقيها فى أمور الدين ، ولكن قلبى يحدثنى أن هذا المشروع لا يتفق مع تعاليم الاسلام »

وملك هذه غيرته على آداب الاسلام ، لا يمكن أن يوافق على مشروعات الشيخ المراغى . . فرفض قانون إصلاح الأزهر ، لأنه كان يرى أنه يجب أن يكون للملك وحده السلطان على رجال الدين ، حتى يبتعد بالدين ورجاله عن أهواء الساسة الحزبيين . . ورفض مشروع قانون تقييد الطلاق وتعدد الزوجات الذى تقدم به المراغى فى سنة ١٩٢٩ ، لأن هذا التقييد بدعة جديدة لم ترد عن رسول الله ﷺ ، ولا عن السلف الصالح . . ورفض الملك فؤاد هذه المشروعات كلها لأنه كان يتوجس خيفة منها ومن صاحبه الذى فرضه عليه اللورد جورج لويد .

وكان اللورد جورج لويد قد عزل فى الوقت الذى عرضت فيه هذه المشروعات وحل محله اللورد برسى لورين . . فلم يكتف الملك فؤاد برفض هذه المشروعات فحسب ، ولكن توفيق نسيم - رئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت - قال للشيخ إن الملك لا يوافق على مشروع قانون إصلاح الأزهر ويرفضه . . ثم إن فى التقاليد السياسية للوظائف الكبرى

حفظا لهيبة هذه الوظائف ، وبقاء على مقامها من التعرض لامتهان الإقالة قد أصبح من المعروف والمتبع منذ القدم هو تخلى الموظف الكبير عن منصبه إذا هو شعر أو أشعر أن جلالة الملك غير راض عنه أو عن عمله . وكان معنى هذا أن يتخلى فضيلته عن منصب المشيخة ، فقدم استقالته من منصبه لمحمد محمود باشا رئيس الوزراء وليس لجلالة الملك تنفيذا للقانون !

ولم يعد نجم الشيخ المراغى للظهور مرة أخرى إلا فى أزمة مصرية بريطانية جديدة . ففى سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ أصيب الملك فؤاد - رحمه الله - بمرض قلبى شديد ، هدد حياته بالخطر ، وطلب الإنجليز أن ينقلوا شئون الحكم من يد الملك إلى يد مجلس وصاية ، كما طلبوا أيضا أن يحدد الملك الأوصياء على العرش . . ولكن كبار المسئولين فى ذلك الوقت ، كانوا عقبة فى سبيل الإنجليز . . ورأى الإنجليز أنه لا وسيلة للوصول إلى رغباتهم ، إلا بأن يكون كبار المسئولين ممن هم محل رضاء الإنجليز ، وفى مقدمة هؤلاء شيخ الأزهر .

ولقد كتبت الأهرام فى ٢٨ - ٤ - ١٩٣٥ تحت عنوان « الرغبات البريطانية » :

« المقول أن الحكومة البريطانية قد أثارت من جديد الأزمة التى بدأ بها المستر بيترسون فى الخريف الماضى ، وتريد أن تصفى جميع المسائل التى حركتها فى ذلك الوقت ، وتحقق جميع الرغبات ، وقد تحقق منها حتى الآن : -

١ - إسقاط وزارة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا .
٢ - تقليد صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا للوزارة .
٣ - إبعاد صاحب السعادة زكى الإبراشى باشا .

٤ - تعيين صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للجامع الأزهر . وهذه آخر رغبة حققت .

وبقى من الرغبات البريطانية الآن رغبتان: الأولى خاصة بالوصاية ، والثانية خاصة بصاحب السمو الملكى الأمير فاروق وضرورة تعليمه بانجلترا ، ويقال إن الحكومة تريد تسوية هاتين المسألتين .

والآن هل عرفت أيها القارىء تاريخ ذلكم الشيخ ؟ الذى يحتج بعض الهدامين بآرائه ، حينما يعملون على تدمير الأسرة المسلمة ؟

لقد أفتى الشيخ - صاحب الرغبة البريطانية الرابعة - بجواز السفور وأنه يحق للمرأة أن تكون قاضية ، وأن تشترك فى الأعمال العامة وأن .. فذهب إليه الأستاذ أحمد إبراهيم السراوى رئيس جمعية الجهاد الإسلامى وناقشه نقاشا مستفيضا على أساس كتاب الله وسنة رسوله ، فعلم فضيلته أن الإسلام دين « الحجاب » ، وقد شهد هذا النقاش سعادة محمد صادق المجددى وزير الأفغان المفوض .. ولم يفت فضيلته بعد ذلك اليوم بمثل تلك الفتوى مرة أخرى .

أما مشروع تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، فقد قدمه الشيخ فى ظروف مريبة ، إذ قدمه فى سنة ١٩٢٩ بعد أن أتى به اللورد جورج لويد شيخاً للأزهر .. وفوق هذا ، فهو مشروع مريب .. إنه الابن الشرعى لمؤامرات المبشرين وحملاتهم على نظام الأسرة فى الإسلام .. إنه المشروع الذى وضع فى صالون نازلى فاضل ، وشرعه داعية الإباحية قاسم أمين .. إنه المشروع الذى يرسم نظاما لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ ، ولم يقل به أحد من السلف الصالح ، بل ويتعارض مع كل مصادر الشريعة الغراء . كأن الشريعة ناقصة وخاطئة تحتاج إلى

تقييد وتعديل ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

إن الشريعة الغراء أسمى وأعظم من أن تحتاج إلى تقييد أو إصلاح أو تعديل ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ».

إن مشروع تقييد الطلاق وتعدد الزوجات مشروع تبشيرى استعمارى مريب لم ينبت إلا فى رءوس المبشرين والمستعمرين ، ولم يحتضنه إلا صنائعهم من المتهمين فى دينهم ووطنيتهم ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ».

مخلوق يتحدى العرف العام .

وبالرغم من أن سعد زغلول ، بمسرحيته التى قام بها فى حفلة تكريمه قد استطاع أن يخطو بالدعوة الآثمة خطوة جريئة ، إلا أن الآداب الإسلامية فى كثير من الأسر ، حالت بينهم وبين الوقوع فى هذه الهوة المفزعة . .

فأراد أعداء الإسلام أن يدفعوا الأمة دفعا إلى التحلل من آداب الدين وتعاليمه ، وشاءت الأقدار المؤسفة أن يقوم بهذا الدور أيضا أحد أبطال هذه الدعوة الاستعمارية التبشيرية فى فصلها الأول .. فلطفى السيد الذى عين مديرا للجامعة المصرية ، والذى عرضت طرفا من تاريخه ، أقدم على مالم يقدم عليه غيره من خلق الله ، أقدم على قبول الفتيات طالبات فى الجامعة المصرية يجلسن بجانب الفتيان فى الدروس والمحاضرات ويختلطن بهم فى أفنية الجامعة ومكاتبها ، وفى الشوارع والبيوت . وقد لجأ فى تنفيذ مؤامرته إلى حيلة تخالف ما جرى عليه العرف والعمل فى البلاد ، إذ أصدر إلى سكرتيرية الجامعة تعليمات تقضى بتقييد اسم كل طالب يحمل شهادات تؤهله للتعليم العالى دون إشارة إلى جنس الطالب

وبهذه الطريقة سار الأمر من غير صعوبة فى البداية ، وقبلت الفتيات فى الجامعة »

« وفى سنة ١٩٣١ ظهرت صورة للدكتور طه حسين باشا فى نادى الجامعة ، وعن يمينه ويساره الطلبة والطالبات يتناولون الشاى ، وقامت القيامة لهذه الصورة البريئة التى تضرب المثل للأبوة فى وجود العميد مع الطلبة والطالبات ، واتخذت الصورة تكأة ليتخلص بها الرجعيون من طه حسين ولطفى السيد »

« وفى سنة ١٩٣٧ أبدى بعض الطلبة رغبتهم فى فصل الفتيات عن الفتيان فى الجامعة ، وأيدت الصحف هذه الرغبة .. ثم ظهرت بعض العناصر الرجعية فى عهد مجلس الوصاية ، وهاجمت الجامعة مهاجمة شديدة ودعا البعض إلى التظاهر فى الشوارع والهتاف بألفاظ نابية لا تليق (١)

وهكذا وجدت هذه الخطوة التى خطاها لطفى السيد خصوما كثيرين من الشعب ، ومن الصحافة ، ومن طلبة الجامعة أنفسهم ، بل ومن بعض طالبات الجامعة .. ومن لجنة الوصاية على العرش ، التى فوجئت بخبر اختلاط الجنسين فى الجامعة ، فتعجبت وتساءلت : (أحقا تجلس الفتيات بجوار الفتيان فى الجامعة ؟) وقام الطلبة بمظاهرات عامة نادوا فيها : (لا نريد الاختلاط .. افصلوا الفتيات عن الفتيان)

ولكن لطفى السيد وقف فى وجه العاصفة ، ومعه من تخرجوا على يديه .. طه حسين ، وحسين هيكل ، وعزمى .. ومن على شاكلتهم

---

(١) عن كتاب « تطور النهضة النسائية » تأليف درية شفيق وابراهيم عبده .

ممن أضلهم الله ، فأضلوا الناس . . ووقف لطفى السيد بعد ذلك يوما يفتخر فقال : « ويتصل بخطأ الجماهير فى فهم رسالة الجامعة مسألة قبول الفتيات المصريات طالبات فى الجامعة ، وهى مسألة كانت قليلة الأنصار فى الرأى العام ، وفى هذا المقام يسرنى أن أؤكد لكم أنى لم تعرض لى جزئية من الجزئيات تجعلنى أندم ، ولو وقتيا على ما شرعته الجامعة فى هذه الحطة من غير أن يستفتى فيه العرف العام » .

نعم . . إنه افتخر بأنه تحدى العرف العام ، وأى عرف عام يقصده؟ إنه تنقصه الشجاعة أن يكون أكثر صراحة فيقول إنه العرف الإسلامى الذى كان متغلبا على الناس . . أى أنه تحدى الإسلام بآدابه وتعاليمه ! !

وهكذا . . تمت المؤامرة التى بدأت فصولها باشارات الأفغانى . . ثم باجتماعات صالون نازلى فاضل . . ثم بتوجيهات محمد عبده فى كتابى قاسم أمين ، ثم بصحف حزب الأمة . . ثم بتجرؤ سعد على نزع أول حجاب ثم بفتح أبواب الجامعة على مصراعيها لاختلاط الجنسين .

الجمعيات النسائية الهدامة :

قد بينت ، كيف أن دعاة السفور والاختلاط ، وهدم الأسرة المسلمة كانوا على صلة وطيدة بأعداء الإسلام من المستعمرين ، بل وكيف تربوا فى مدارسهم وصالوناتهم وترعرعوا بأموالهم .

وحتى أكشف عن باقى صنائع الاستعمار وأعداء الإسلام ، لا بد لى أن أتناول الحديث عن الجمعيات النسائية الهدامة ، التى ظهرت فى أعقاب تلك الدعوة الآثمة .

والاتحاد النسائى هو أول تلك الجمعيات وأسسته هدى شعراوى . . فمن هى مدام شعراوى هذه ؟

هدى شعراوى هى بنت محمد سلطان باشا رئيس أول مجلس نيابى فى مصر ، والذى سجل فى التاريخ صفحة سوداء كالقار ، وارتكب جريمة شنعاء فى حق بلاده . . فقد استقبل الجيوش البريطانية التى احتلت مصر ، بتقديم فروض الشكر والهدايا لقائدها .

وحسبى أن أنقل للقارىء ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن الاحتلال الإنجليزى :

« وبدأ يخيم على البلاد جو من الانحلال الخلقى ، وبدت فى أفقها مظاهر غير وطنية ، لا نرى بدأ من تدوينها مع شديد الأسف ، فبينما كان وجود جيش أجنبى يحتل العاصمة مما يستثير روح السخط فى نفوس الشعب ، إذ ببعض ذوى الشخصيات البارزة فى المجتمع وقتئذ يتقدمون بهدايا إلى قواد الجيش الإنجليزى لقاء انتصارهم فى القتال .

وتفصيل ذلك أنه فى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وفد على وزارة الداخلية رهط من الأعيان والعمد يتقدمهم محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب وأحمد بك السيوفى من أعيان القاهرة ، وقابلوا رياض باشا وزير الداخلية ، وأبلغوه عزمهم على تقديم هدية فاخرة من السلاح إلى كل من الأمير الاى سيمور قائد الأسطول الإنجليزى (الذى دمر الإسكندرية بقنابله) والجنرال ولسلى القائد العام للجيش البريطانى والجنرال « دروري لود » الذى كان أول من دخل العاصمة بعد سقوط التل الكبير . . وطلبوا من رياض باشا أن يأذن لهم فى تقديم ما عزموا على إهدائه للقواد المذكورين ، شكراً لهم على إنقاذ البلاد من الفئة العاصية ، فأذن لهم بذلك (راجع الوقائع الرسمية عدد ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢) واعتزم أولئك المنافقون على تأليف لجان فى المديريات لجمع الاكتتابات لهذا الغرض ثم

عـدلوا عن ذلك وقدموا الهدايا من مالهم الخاص ، وتم اصطناع الهدايا بعد رحيل القواد الثلاثة .. فقدمها وزير الداخلية وقتئذ (اسماعيل باشا أيوب) يوم ٢٢ يناير سنة ١٨٨٣ إلى السير أدوارد ماليت قنصل انجلترا العام ليوصلها إلى القواد الثلاثة ، فبعث بها إليهم ! وفى إبريل سنة ١٨٨٣ وصله من من الجنرال ولسلى خطابان يرجوه فى أولهما أن يبلغ شكره إلى سلطان باشا وإلى أعضاء مجلس النواب وأعيان القطر على هديتهم !

وفى الخطاب الثانى يخص بالشكر :

سلطان باشا
محمد باشا الشواربى
عبد الشهيد أفندى بطرس
عبد السلام باشا الموبلحى
محمود باشا سليمان
أحمد باشا السيوفى

على خطابهم الذى قدموا به هديتهم ، فأرسـل السير أدوارد ماليت صورة الخطابين إلى سلطان باشا ، وأرسل إليه أيضا خطابا آخر وصله من الجنرال « دروري لو » يتضمن شكره وزملاءه على هديتهم (راجع الوقائع المصرية عدد ٨ إبريل سنة ١٨٨٣)

انتهى ما جاء فى كتاب عبد الرحمن الرافعى عن الاحتلال الإنجليزى

وبعد أن عرفت ـ أيهـا القارىء الكريم ـ من هو محمد سلطان ، تستطيع أن تعرف البيت الذى نشأت فيه هدى شعراوى ، وما هى المعانى « الوطنية » التى تلقتها عن أبيها « العظيم »

ولما كبرت هدى شعراوى ، انتقلت إلى بيت زوجها علي شعراوى

باشا أحد الزعماء الثلاثة الذين طعنوا الأمة طعنة مؤلمة فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ المشئوم . . فقد تقدم الثلاثة إلى المعتمد البريطانى ، ليعترفوا له بأن لانجلترا مصالح فى مصر ! !

وهكذا انتقلت هدى شعراوى من بيت الرجل الذى رحب بجيوش الاحتلال ، إلى بيت الرجل الذى اشترك فى إعطاء الإنجليز صكا بحقوقهم ومصالحهم فى مصر وطلب بقاء المستشار الانجليزى فى مصر للمحافظة على ديون الأجانب ! !

وإذا كانت هذه هى البيئة التى نشأت وعاشت فيها هدى شعراوى ، فكيف تستطيع الوطنية الصادقة أن تتسرب إلى قلبها ؟

قد يقول قائل : لعل معـــانى الوطنية السليمة استطاعت أن تخترق جدران الأبوة والزوجية ، وتسللت إليها .

وإذا ســـلمنا جدلا بهذا القول ، فلن نستطيع أن نحسن النية إطلاقا بهدى شعراوى ، إذا علمنا أن الاتحاد النسائى لم يقم إلا بتشجيع وإيحاء « الاتحاد النسائى الدولى » الذى أقامه الغربيون - بطبيعة الحال - على أسس بعيدة عن الإسلام »

قالت مدام شعراوى تصف الظروف التى أقامت فى أثنائها الاتحاد :

« فى سنة ١٩٢٠ جاءتنى دعوة من الاتحاد النسائى الدولى لحضور مؤتمره فى سويسرا ، ففكرت مع بعض السيدات المصريات فى السفر إليه ولكن ظروف الحركة الوطنية لم تساعدنى على إجابة الدعوة . . ثم كان المؤتمر الثانى فى روما سنة ١٩٢٣ ، فجاءتنى دعوته للحضور ، فسافرت أنا وبعض زميلاتى المصريات وكنا ثلاثا . . وعدنا إلى مصر بعد انتهاء المؤتمر ففكرت أنا والسيدة سيزا نبراوى فى القطار العائد بنا من الإسكندرية أن نخلع البرقع ، وكنا ما زلنا نخرج ونسير به . . ففعلنا . . وفوجئ

الذين كانوا يستقبلوننا فى محطة القاهرة بالسفور ، ولكنهم لم يستنكروا عملنا ، بل كانوا من المحبذين .. وفى هذا العام أسسنا الاتحاد النسائى المصرى ، واستطعنا أن نتغلب على كل ما صادفنا من صعوبات » (١)

وظلت الروابط الوثيقة بين أعداء الاسلام الممثلين فى الاتحاد النسائى الدولى ، وبين هدى شعراوى الخارجة على آداب الإسلام . . فى ذى القعدة ١٣٥٩ زارت مصر الدكتورة « ريد » رئيسة الاتحاد النسائى الدولى ، ومسز سيلر أمينة صندوق هذا الاتحاد . . وقالت الدكتورة « ريد » تتحدث عن الاتحاد النسائى المصرى :

« إنى لجد معجبة بهذه النهضة الشاملة التى وجدت عليها المصرية . حتى أصبحت لا تختلف فى قليل أو كثير عن الغربية ! »

وهكذا . . يتضح للقارىء الهدف الذى يرمى إليه الاتحاد النسائى ، وهو أن تتحلل المرأة المسلمة من الآداب الإسلامية ، حتى لا تختلف فى قليل أو كثير عن المرأة الغربية وتزول عنها مقوماتها الإسلامية ،

وهل مثل هذه الهيئة التى حركتها هيئة أجنبية تتقيد بآداب الاسلام فى قليل أو كثير ؟ لا بالطبع . . حتى الخمر يقدمها هذا الاتحاد الذى يتمسح فى الاسلام ، حينما يتحدث عما يسميه حقوق المرأة . . فلقد جرى هذا الاتحاد على أن يقيم حفلة سنوية ، وحفلات أخرى ، تقدم فيها الخمور . ولقد أذاعت الصحف فى رمضان ١٣٧٠ (أن الاتحاد النسائى يعتذر عن عدم تقديم الخمر ـ كعادته ـ مراعاة لشهر رمضان المبارك)

ثم ظهر بعد هذا الاتحاد النسائى ما يسمى حزب بنت النيل . . وهو حزب يتعذر أيضا تبرئته من أنه يعمل لحساب أعداء الدين والوطن . .

---

(١) الهلال عدد مايو ١٩٤٩ صفحة ٨٦ .

فى ١٩ إبريل ١٩٤٥ نشرت الدكتورة دريه شفيق مقالا قالت فيه بالحرف الواحد « إن المرأة المصرية لا تستحق حق الانتخاب » (١)

وفى ١٤ سبتمبر ١٩٤٧ نشرت أيضا مقالا جاء فيه بالنص (٢) « لقد فشلت المرأة المصرية فى ميدان السياسة ، لان المرأة بطبيعة تكوينها الجسمانى والعقلى لا تستطيع أن تسير فى هذا الميدان ، ومن رأى أن تقصر المرأة حددوها على تأدية رسالتها التى خلقت من أجلها وهى إصلاح المنزل وخدمة زوجها وتنشئة ابنائها تنشئة صحيحة سليمة تؤهلهم لحمل اعباء الحياة الثقيلة . إننى لا أومن بهذه المطالب السياسية التى تطالب بها المرأة المصرية مثل الانتخاب والترشيح لعضوية مجلس البرلمان ، لأن هذه الحقوق من صميم رسالة الرجل ، فلتترك المرأة السياسة للرجل ، ولتتفرغ لما هو أهم من السياسة وهو المنزل » ا.هـ

وسافرت دريه شفيق إلى أوربا ثم عادت إلى مصر ... عادت لتنكر فى أقل من سنة لآرائها التى أعلنتها فى الصحف . وأصبحت فى أقل من سنتين رئيسة حزب نسائى يدعو فى تحمس - غير طبيعى - لحرية المرأة ، ووصفت الذى يسفه اقحام المرأة فى السياسة بأنه « غبى بليد الحس » !!!

ما السر فى هذا الانقلاب المفاجىء !؟ أبعد رحلة واحدة إلى أوربا تعارض نفسها بنفسها ، وتنقض أقوالها وتتنكر لآرائها ، وتدعو إلى اعطاء المرأة الحقوق السياسية وتكوين الكتائب النسائية العسكرية !؟

ومن العجيب أن هذه العجوز المتصابية تتمسح بالاسلام وبالوطنية فى دعوة حزبها الشيطانى !!... مالهذه العجوز والاسلام !؟ مالها والمصلحة

(١) العدد ٣٥٥ من مجلة الشعلة

(٢) العدد ١١٤ من مسامرات الجيب

العامة ومالها والوطنية !؟

إن هذه الدعية لا يربطها بالاسلام رابطة من أول يوم ظهرت فيه أمام الأعين .. إنها هانم من هوانم البيوت المصرية المسفرة المختلطة ... ومن ابرع « سيدات » الصالون المصرى فى فن الماكياج ... ومحررة الايجبيت نوفل .. ومؤسسة أكبر جمعية ارستقراطية من نساء الطبقات الراقية ... ومنظمة حفلات المودات الباريسية

إن هذه التى تتحدث عن عائشة واسماء وسكينة رضى الله عنهن ليس فى سلوكها مايتفق مع آداب الاسلام ؟ إنها تسافر وحدها إلى أوربا مع أن الاسلام يوجب أن تحج المرأة مع محرم لها .. إنها تحضر حفلات الكوكتيل الساهرة الحمراء ، ولقد نشرت الصحف صورها فى أكثر من حفلة كوكتيل ولقد أرادت أن تتظاهر يوما بأنها ترمى إلى المصلحة العامة ، فاقترحت تحريم الخمر ... على النساء اللائى لم يبلغن العشرين !! والمعنى أنها توافق على عدم تحريم الخمر للائى يزدن عن العشرين !!

هذه المواقف كلها تثير ريبة النفس فى هذه الهيئات النسائية الهدامة .. ولكن ما لبثت أن زادت هذه الريبة ريبة فوقها ، ووضح الكثير من حقائق هذه الهيئات ، وبان لكل ذى لب كيف أن هذه الحركات تعمل بتشجيع الاستعمار ولحساب أعداء الاسلام ..

فلقد نشرت إحدى الصحف فى ١٤ رمضان ١٣٧٠ (١) « تشترك كل من السفارة البريطانية والامريكية بمبلغ ألف جنيه سنويا فى بعض المجلات التى تصدرها الهانم درية شفيق وذلك تقديرا منهما لرسالتها « الوطنية » !!

(١) الجمهور المصرى عدد ٢٤

ونشرت إحدى المجلات أيضا فى ابريل ١٩٥١ ، استقالت عضوة فى إحدى الهيئات النسائية ، وأرسلت استقالة مسببة إلى رئيسة الهيئة تتهمها فيها بأخذ إعانات مالية من إحدى السفارات الأجنبية ، وقد قبلت الرئيسة الاستقالة دون عرض الخطاب على مجلس الإدارة ،

وإلى جوار هذه الهيئات هيئات أخرى ثبت اتصالها بالشيوعيين ، وقضى مجلس الدولة بأنه من حق وزارة الداخلية منع نسائها من السفر إلى الخارج ..

وهكذا تفضح الحقائق التى تنشرها الصحف هذه الهيئات الهدامة ، وبين مدى عدائها للوطن ، وكيف أنها تحيا بأموال مدنسة خبيثة يقدمها أعداء الاسلام وأعداء الوطن .

ومن المؤلم أن الصحف التى تدعى أنها تحارب الاستعمار ، وتحمى ظهور الأحرار ، هى نفس الصحف التى تفسح أعمدتها للمقالات المؤذية التى تنشرها هذه الهيئات التى تتاجر بالوطنية فى أسواق الغاصبين المجرمين ؟!

لقد نشرت الصحف جميعا أن مسز سمرسكيل وزيرة الشئون البريطانية قد حضرت إلى مصر فى عام ١٣٧٠ هجرية ، واتصلت بالهيئات النسائية المصرية ، وحرضتهن على المطالبة بحقوق المرأة السياسية .

وما أن غادرت هذه الآفة البريطانية البلاد ، حتى قامت الجمعيات النسائية بمظاهرة هللت لها صحف انجلترا ، ورحبت بها إذاعة لندن ... وتناست الصحف المصرية ظروف هذه المظاهرات المصطنعة وأسبابها ، ولطخت صفحاتها بصور وأخبار هذه المظاهرات للدعاية لها !! .. ولولا

---

(١) اليوسف عدد ١١٩٠

ما بذله الاتحاد العام للهيئات الاسلامية ، لنماذت تلك الهيئات المجرمة في ضلالها ..

هذا هو الطراز العجيب من النساء اللائى يقدن ما تسمى بالنهضة النسائية .. نساء يسافرن وحدهن إلى البلاد الاوروبية حيث الفسق والفجور نساء يحضرن حفلات الرقص .. نساء يجدن فن الماكياج وتلطيخ الوجوه والأظافر .. نساء يقبضن ثمن حركاتهن من السفارات الاوربية الاستعمارية . نساء يقمن حفلات الكوكتيل ويشربن الخمر .. وبمعنى آخر نساء خرجن عن طاعة الاسلام ، وبعن حقوق البلاد بل وأعلن الحرب على الله .. والوطن

وأى خير ننتظره من امرأة تشرب الخمر !؟ إن امرأة عربية شربت الخمر يوما . فشعرت بمرارته وأثره فى رأسها .. فقالت : أيشرب نساؤكم هذا ؟ قالوا : بلى !! فقالت : زنين ورب الكعبة ، لا يعرف أحدكم من أباه . أى أن المرأة التى تشرب الخمر ، لا بد وأنها تقع فى الزنا !!

هدف إقطاعى :

إن دعوة النساء الخارجات إلى ما يسمينه زورا وبهتانا « حق المساواة » ترمى إلى هدف آخر لا يغيب عن فطنة القارىء اللبيب .

إن المرأة التى تدعو هذه الدعوة الآثمة ، ليست من طبقات الشعب الذى يكد ويكدح .. إنهن من « طبقات راقية » لديهن من المال ما يستطعن به شراء العبيد لا استئجار الخدم فحسب للقيام بشئون بيوتهن وإرضاع أولادهن .. فهن لا يشعرن بأعباء ولا واجبات المرأة العادية .. وليس عليهن من الواجبات المنزليه ما يحتاج إلى وقتهن .. ولهذا فهن لا ينفقن أوقاتهن إلا فى الحفلات والزيارات والرحلات إلى أوربا ، ودراسة موداتها !

ولقد نبتت الفكرة ، ليس فى بيت من بيوت الشعب ، ولكن فى صالون نازلى هانم فاضل . ثم تزعمتها الآن نساء ماتسمى (بالطبقات الراقية)

فعضوات الهيئات النسائية ، يقمن بما يقمن به من تأليف الهيئات النسائية ، من باب التسلية وقطع الوقت .. وإلا فأى امرأة هذه ترعى شئون بيتها وزوجها وأولادها ، تجد من الوقت ما يتسع لسفرها إلى أوربا وحضور المؤتمرات والحفلات ، والتردد على الجماعات !؟

نساء أى طبقة أولئك اللاتى يشتغلن بالحركات النسائية ؟ إنهن زوجات الاقطاعيين الذين يملكون الأطيان الشاسعة والأموال المقنطرة ... هدى شعراوى ابنة محمد سلطان الاقطاعى الخائن ... وحرم علوبه أحد « الباشوات » والعضو فى أحد الاحزاب الاقطاعية ومن كبار الاغنياء .. ودريه هانم شفيق صديقة البيوت العاليه ، ومرجعها فى المودات ... وقس على هؤلاء ، تجد كل القائمات بالحركات النسائية الهدامه ، لسن من بنات ولا أمهات طبقات الشعب الكادحة ؟ وإلا فأى امرأة من نساء الشعب اشتركت فى هذه الحركات أو وجدت لديها من الوقت ما يسمح لها بالتفكير فى مثل هذه السخافات !؟

فما معنى كل هذا !؟

إن نساء الطبقات المسماه الراقية ، وسيدات الصالونات ، اللاتى يتحمسن لدعوة المساواة ، يرمين من وراء دعوتهن إلى أن يشتركن مع أزواجهن فى حكمنا .. فكأنه لا يكفيهن أننا عانينا الأمرين لأن الذين يحكموننا ليسوا من طبقات الشعب ، ولكنهم من « الطبقات الراقية » ومن الاقطاعيين الذين يستطيعون شراء الذمم فى الانتخابات ، ومن الذين كونوا رءوس أموال ضخمة من وراء الاستعمار ، ومن عرق ودماء هذا الشعب البائس

المسكين ، كأنه لا يكفيهن أن الذين يحكموننا من الرجال هم من هذه الطبقات التى تسكن فى بروج عاجية ، فهم لا يعبأون بالشعب ولا بمصلحة الشعب ، لأنهم لا يشعرون بشعوره ، ولا يحسون باحساساته ... فكأنه لا يكفيهن كل هذا ، ويردن أن يجعلوها إقطاعية لحما ودما وعظما ، فتشترك نساء «الطبقة الراقية» مع رجالهن فى استعباد هذا الشعب وإذلاله !!.. وإلا فأى امرأة من طبقة الشعب تفكر فى الترشيح والانتخاب !؟ أى امرأة من طبقة الشعب لديها من المال ما يمكن انفاقه فى الترشيح وعلى الناخبين !؟

وإذن فالحركة النسائية مؤامرة اقطاعية .. كما هى مؤامرة استعمارية ما لهن والحقوق السياسية ؟ ماذا يعرفن من آلام الشعب ومتاعبه ؟.. وأى سيدة من سيدات المجتمعات والصالونات تكد وتكدح ، وتؤدى واجبها كما تؤديه سيدة البيت من بنات وأمهات هذا الشعب !؟

إنها مؤامرة إقطاعية تعينها وتروج لها الصحف الكبيرة ، التى يعرف الشعب كيف تعيش وعلى أى مال تعيش ، ومصدر الاعانات التى يقيمون بها الدور الضخمة ويقتنون بها الآلات العظيمة الحديثة .. إن الجميع يعرف مصلحة أصحاب الصحف الكبيرة فى الترويج لمثل هذه الدعوات الاقطاعيه إن أصحاب هذه الصحف من أصحاب المعالى والسعادة والعزة .. والاموال المقنطرة والأراضى الشاسعة .. إنهم من الطبقات الراقية التى خرجت منها هذه الدعوات الهدامة ..

إذن .. فهدف هذه المؤامرة الخبيثة هدف إقطاعى ، يسعى إليه الإقطاعيون من رجال ونساء «الطبقات الراقية» ولقد قالها لى بصراحة رجل ممن تربطهم بهذه الحركات رابطة وثيقة ، وهو الدكتور نورالدين رجائى زوج الهانم درية شفيق .

فى يوم من الأيام ، توجهت مع اخوانى من أعضاء شباب محمد ﷺ لفض احدى اجتماعات اتحاد بنت النيل . . وبعد أن تم فض الاجتماع ، تقابلنا مع الدكتور نور الدين ، ودار الحديث بيننا حول الحركات النسائية الهدامة . ثم أسر إلينا بسر كائنا كنا نجهله ، فقال لنا إنكم لا تعلمون من يؤيد هذه الحركات .. إنكم لستم فى قوتهم .. إنها حركات غنية بالمال ، قوية الجاه والسلطان ، وأنتم فقراء فى المال ، ضعفاء فى الجاه والسلطان . فقلت له : لست ماتقوله سرا نجهله ، ولكنها حقيقة نعرفها حق المعرفة ، ولنعلم أننا نعبر عن إرادة الرأى الإسلامى للعام . . أما ما تحذرنا به من قوة وجاه وسلطان ، فاعلم أن الرسول ﷺ قد نزلت الدعوة عليه وحده ، ولاقى ما لاقى فى سبيل رسالته من الأذى والكيد والمكاره ، ولكن الله نصره أخيرا ، رغم كثرة أموال أعدائه ، وقوة جاههم وسلطانهم ، ورغم أنه لم يؤيده إلا فقراء الجزيرة وضعفاؤها ، وهنا قال لى الدكتور « إنه رسول الله ، وهل أنتم أنبياء حتى يؤيدكم مثلما أيده ؟ » فقلت له : « وهل نسيت قوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » و « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وإننا ننصر الله . فلا بد أن ينصرنا ، وإننا نمثل إرادة الشعب المسلم ، ولا بد لإرادة الشعب أن تنتصر ، والويل كل الويل لكل قوة تقف فى سبيلها »

وأخيراً :

لقد انتهيت - أيها القارىء الكريم - من أداء رسالتى ، واتضح الأمر جليا أمامك ، ووقفت على مؤامرات أعداء الدين والوطن لهدم الفضائل التى تعتمد عليها الأمة فى كفاحها ، مسخرا فى ذلك أعوانه من ذوى الضمائر الميتة .

« إن المشكل ليس النصيحة.. وإنما المشكل قبولها » كما قال الامام الغزالى
وما الذى يمنع من قبول نصيحتنا ؟

إنها لاتحتاج إلا إلى شيء من الحساسية ، إنها تحتاج إلى نخوة وغيرة ورجولة وشجاعة .. وإنها تحتاج إلى إيمان مطلق بالله ، وإطاعة أوامره طاعة مطلقة

إننا نوجه النصيحة خالصة للمرأة نفسها ، ونربأ بها أن ترضى لنفسها أن تكون سلعة رخيصة فى أسواق الفجور ، ونهيب بها أن تلتزم دائرة سلطانها داخل البيت ، وتكون ملكة فى مملكتها الزوجيه ، تؤدى رسالة عظمى ، دونها رسالة الرجال ..

وإننا نهتف فى آذان الأزواج والآباء ، أن يجنبوا أنفسهم وأسراتهم وصمات الفضائح ، وآلام الفواجع والمآسى ، التى تطالعنا بها الصحف صباح كل يوم كنتيجة طبعية للخروج عن طاعة الله ..

وإننا نتوجه إلى الحكام وإلى المسئولين ، فنحملهم مسئولية التفريط فى أعراض المسلمين ، وتبعة الانهيار الخلق الذريع فى نفوس فتيان وفتيات هذه الأمة العزيزة .

وتبقى كلمة نوجهها إلى أنصار المرأة فى فجورها ، من ذوى الضمائر النتنة ، وأصحاب الأغراض الدنيئة من النفعيين والشهوانيين وعبيد الاستعمار .. فلقد عرفنا نياتكم ، ولن نسمح لكم أن تعملوا لإفساد المجتمع على حساب شهواتكم الوضيعة ، ونزواتكم الدنيئة ..

إننا وطدنا العزم ، وعقدنا النية ، على أن نضع حدا لهذه المهازل .. فاحذروا واحذروا يادعاة الفتنة ويادعيات السوء ..

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

فصول الكتاب

صفحة

٣ تصدير بقلم الأستاذ حسين يوسف رئيس شباب محمد ﷺ

٦ مقدمة

١٠ مؤامرات المشرين

١٧ المدنية الغربية وأثرها فى العقيدة

٣٠ الأسرة المسلمة

٤٦ الاستعمار يحارب الإسلام

٥٩ صنائع أعداء الإسلام

اعتذار

لايخلو هذا الكتاب من بعض أخطاء مطبعية يمكن للقارىء تداركها بفطنته . . فعذرة.

المؤلف تحت الطبع

١ - تحت لواء أحد : عرض للمعانى الانسانية المتباينة التى أسفرت عنها غزوة أحد ، وتاريخ شهدائها وأبطالها .

٢ - سبيل الاصلاح : عرض شامل لأهداف شباب سيدنا محمد ﷺ ، وشرح لمنهاج دعوتهم

٣ - جمال الدين الافغانى : عرض ونقد وتحليل

الفارس المصلوب

للأستاذ محمد فهمى عبدالوهاب

أمين الوية شباب سيدنا محمد ﷺ

قصة الإيمان والبطولة يرويها تاريخ عبدالله بن الزبير رضى الله عنه ، ويطلب الكتاب من المؤلف ومن ألوية شباب سيدنا محمد ﷺ ومن أكشاك توزيع الصحف

٣٤٠ صفحة ٢٠ قرشا

وورق مصقول ٢٥ قرشا

النذير

لسان حال شباب سيدنا محمد ﷺ

تصدر صباح كل جمعة

- أصدق لسان لأطهر دعوة
- بعيدة عن الأحزاب ، مجردة من الأهواء خالصة لوجه الله
- لاتخشى فى الله لومة لائم

الاشتراك عن سنة ١٢٠ قرشا داخل القطر و ٢٠٠ قرشا خارجه

تليفون : ٧٤/٩٤

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00296930

266
K45mA